

الدر المكنون

في

جذث الملك توت عنخ آمون

ادب وتاريخ

تأليف

﴿حسن شوقي﴾

وكيل المدرسة الخديوية

الطبعة الأولى

(فل سبروا في الأرض فاطروا
كف كان عاقبة الدين من قبل)
قرأه كريم :

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

المطبعة الحديثة ببازع خربت بالعاصمة

— ٢ —

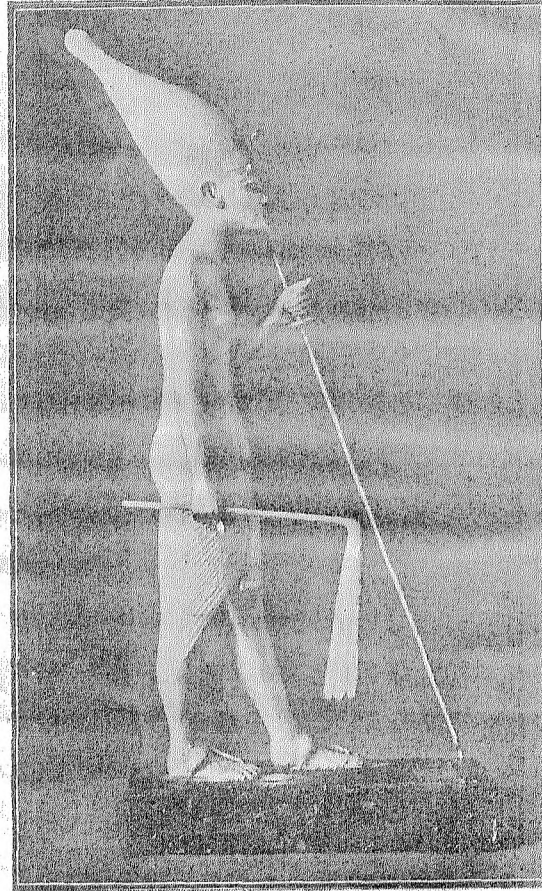
الملك توت عنخ - آمون قابضاً على سوطه ومخصرته الذهبية
ومتدثراً بعباءته المسكينة



أين الألى سجلوا في الصخر سيرتهم وصغروا كل ذى ملك وسلطان
بادوا وبادت على آثارهم دوا وأدرجوا طي أخبار وأكفان

— ٣ —

الملك توت - عنخ - آمون قابضاً على سوطه ومخضرتة الذهبية
ومحتذاً حذاءه الذهبي



أين فرعون وهامان ومن ملك القوم وولى وعزل
أين من سادوا وشادوا وبشوا هلك السكل ولم تغن القلل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى ملأ صحائف الأيام بالمواعظ والعبر وجعل فى آثار
السالفين ذكرى لمن أدرك والصلاة والسلام على سيدنا محمد أصدق الخدنين
وعلى آله واخذانه أجمعين

(وبعد) فلما كانت أحداث ملوك مصر القدماء هى صحف التاريخ
التي يقرأ العالم فيها قاطبة سير هؤلاء الملوك وأخبارهم ومآثرهم وأعمالهم وما كان
لهم من المجد الاثيل والعز التليد والهمة الفعساء وأبهة الملك ونفوذ السلطان
إبان تلك المدنية المصرية السحيقة التي فتنت العالم بهائها واستهوته بروائها
ففاض بعد أن غاض معين حياتها وتفجر بعد أن غار بأنبوع عزها فاخضوضر
نبتها واعشوشبت أرضها وأزهرت أزاهيرها وأحيا الحيا مواتها أحبت أن
أنظم لها الدرالمكثون في جدث الملك توت - عنح - آمون ليشفى الصادى
غلتها من عذب مناهلها ويشبع المنهوم من كنوز خيراتها وليستعين المتهالكون
عليها الوامقون لها على فك طلائعها وحل رموزها واستجلاء شبهاتها
وتفسير أحاجيها واستيعاب أخبارها ثم ينعم المبصر الدقيق النظر في مآثرها
وجلائل أعمالها وعظيم مواردها فيستقى سلائفها ويتمذذ من رحيقها ثم يرى
كيف تقوضت أركانها وثلت عروشها ودكت صروحها وتقلص ظلمها وابتذر
ساكنها فأصبحت أثراً بعد عين كأن لم تكن بالأمس لشنات جامعتها وتفريق
وحدها واختلاف كلمتها وسريان الدم الأعجمي في شريانها واغراقها في اللهو
والقصف وغلوها في اللبـذخ والترف وليدبر قوله تعالى « وإذا أردنا أن
نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها الفول فدمرناها تدميراً »

— ٥ —

وليدٌ كَرَّ قول الشاعر المجيد

دقات قلب المرء قائلة له لِمَ الحياة دقائق وموان

فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

نسأل الله تعالى أن يسدد بالظفر خطانا ويثبت بالنجح أقدامنا ربي
لغلب سبلنا لننهض بهذا الوطن العزيز والبلد الأمين إلى أعلى عليين مستظلين
حماوة مليكتنا الأعظم ورائد نهضتنا الأغر الأكرم الملك فؤاد أبيده الله
هـ سميع الدعاء فعال لما يشاء



المقدمة

منذ سبع حبيج خلت من وقتنا هذا قد الفينا الصحف الشرقية والغربية التي لم تأبه من القدم بالآثار المصرية حافلة بالموضوعات الشائقة عن الآثار الممتعة التي ادهشت قراءها وفنتت عشاقها حتى ليكاد المرء يعتقد في صحة الاقاصيص المذكورة في كتاب الف ليلة وليلة اذا تذكر أن علاء الدين قد نأى عن مئواء بسحر الساحر وجاب البلاد وجاز المفازات واناخ على شفا الصخور الشم وشفير الصياخيد الصم اذ يقول الراويه في كتابه المذكور « واخيرا قد بلغوا خانقا ضيقا قائما بين علمين شاهقين متساوين في السمك وفي تلك البقعة المقدسة اضرم الساحر النار في العود ونثر عليه البخور ولما أن ارتفع العنان نغم بكلماته الساحرة وان هي برهة قصيرة أو ثنتين حتى زلزلت الارض زلزالها وفجرت فاجها فكشفت عن حجر في باطنها ذرعه قدم ونصف قدم طريحا على الأرض وله حلقة من الشبهان في وسطه ليرفع بها فذعر علاء الدين عند هذا المشهد الرهيب وذهب قلبه شعاعا فهدأ الساحر من روعه واسكن جأشه بقوله « أي بني انظر كيف فعلت بفضل بخوري وسحر نفهاتي واعلم بأن تحت هذا الحجر الذي أمامك كنز دفين قد قيضه الله لك ليرفعك مكانا عليا وينزلك منزلا مباركا سنيا ويجعلك عما قريب اثرى مثرى ملوك العالم » ولما أن رفع الحجر تكشف له كهف ذو باب صغير وعدة دُوج تهبط الى قاعه ثم قال الشاعر الافريقي « أي بني التفت وأنصت الى ما أقول » اهبط الى تلك المغارة حتى اذا بلغت قاع الدرج الذي حيالك فستبصر بابا مفتوحا على مصراعيه موصلا الى كهف ينقسم ثلاثة ابهاء فسيحة يتلو أحدها الآخر وفي كل من هذه الابهاء سترى يمنة ويسرة أربعة اوعية

كبيرة من الشبهان تحاكي المراحل - ملائى بخالص المسجد القرمزى
واللجين اليق

وفى مستقبل الايام سوف نرى طلاب العلم وتلاميذ الدرس الذين
يتعلمون دروسا ذات مساس بالروايات الخلقية والافاقيص التاريخية
لا يدهشون اذا رأوا الرسائل المنبعثة من طيبة فى ربيع ١٣٤٠ هـ تمثل
دورا جديدا وطورا حديثا من حكاية علاء الدين وسوف يعتقدون صحة
النظرية القائلة « التاريخ يعيد نفسه » وليس هنالك فارق بين الرواية
الاولى الخيالية والثانية الحقيقية اللهم الا أن يستبدلوا بالعلمين الشاهقين
والخائف الذى بينهما وادى الملوك وأن يعتاضوا بالسيد الانجليزى المغفور
له (اللورد كارفون) عن الساحر الافريقى وأن يتخذوا ذاك الاثرى
المشهور (المستر هوارد كارتز) بديلا عن علاء الدين . فلا مرأ أن هذين
الكاشفين اللذين يدين لهما العالم عامة ومصر خاصة بكشف هذا الكنز
الدفين وألجذث المكنون الذى ضم بين ثناياه تلك الجنة الملكية الرائعة
الموهبة بالمسجد الموشاة بالنضار وحوى بين جوارحه من الاعلاق
النفيسة واللاىء الكريمة ما يعجز عن ذكره اللبيب اللسن وبحار
فى وصفه الأريب اللبق



فذلكت في التاريخ القديم

ليس تمت حادث في تاريخ العصر الحالية والاحقاب البائدة قد ادهش الابصار وحير الالباب وهاج مهج الرجال واقتن النساء والولدان مثل كشف قبر توت - عنخ - آمون سنة ١٣٤١ خلت من الهجرة . وقلمنا نعرف الآن شيئاً مذكورا عن تاريخ هذا الملك المجيد ولكن لايمضى زمن طويل حتى تكشف لنا حقيقته الهامدة طلاسهم ملكة وتحل لنا احاجي تاريخه وادوار حياته وكل ما نعرفه الآن عنه هو أنه كان شابا في عنفوان الصبا وشرح الشباب قد حكم ردحا قصيرا من الزمان لم ينل فيه طيب الذكرى وجميل الاحدوثة لضعف ارادته ورطيب غصنه واخضرار عوده كما أن اراءه السياسية وعقائده الدينية كانت ضعيفة المبني عديمة الجدوى لحدائثة سنه ووهن عزمه فلم تحنكه التجارب ولم تقرعه التوائب وان ما كشف في قبره الآن لم يزدنا علما اكثر من معارفنا التاريخية عنه اللهم الا أنه خير شاهد على ما كان لهذا الملك من العز والسلطان والمجد والعنفوان والبذخ والترف والدعة والقصف في تلك العصور السحيقة والاحيال البائدة ولكن بالرغم من خمول ذكره وغموض عصره نرى أن هذه المكشوفات العظيمة قد اثارت ثائرة كبيرة في تاريخ الآثار لما لها من الاهمية التاريخية والفائدة الادبية فانها تبسط للعالم اجمع تلك الثروة الطائلة والمدنية المصرية القديمة في تلك العصور الحالية فان الاعلاق الذهبية النفيسة والطنافس الجميلة والجواهر السنية المتألقة والفرش المنصدة والنياب الفاخرة والبسط المبرقشة والزراى الميثومة والتمارق المصفوفة والارائك المنصوبة والصواالج المنسقة والملابس المهيأة والاوانى المنظومة والحلل المتوفرة قد بذت سائر الآثار والكنوز التي كشفت منذ العصور التاريخية القديمة حتى وقتنا هذا

ولإذا نظرنا إلى الرياش الجميل الذى وجد به هذا القبر لم نر أفخر ولا أغزر منه من عهد نشأته الى الآن . وان من يدقق النظر فيه يتجلى له من بديع تنسيقه وأحكام صنعه ودقة وشبهه ان الصناعة المصرية فى ذاك العهد قد برزت أية صناعة أخرى فى العالم ومما يدهش الابصار ويسترعى الافكار وحوود تلك الكنوز الهائلة فى قبر ملك كهذا خامل الذى كرخفوض الجناح . واذا عرفنا أن هذا الملك لم يتبوأ العرش أكثر من ستة أو سبعة حوول فى ذاك العصر المظلم قد ملك فيها تلك الكنوز الهائلة يمكننا ان ندرك مبلغ الثروة التى كانت تندفق على الفراعنة العظماء الذين حكموا زمنا طويلا مثل تحتمس الثالث الذى أوسع نطاق الدولة المصرية فى آسيا وجبى الاتاوى والضرائب من تلك البلاد النازحة المتحصرة أو امنحيب الثالث الذى بلغت فى عهده أبهة الملك وحلال السلطان اوج غايتها أو تلك الثروة الطائلة والكنوز الفاخرة التى كانت اسيتى الاول ورمسيس الثانى هذين الملكين العظيمين اللذين استردا الاملاك المصرية الاسيويه التى فقدوها اخناتون أو أحفاده .

ومن عهد الف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان وادى الملوك قد ضم بين اجنانه تلك الكنوز الذهبية الفاخرة والرياش الرائع الذى لم يوجد مثيله فى تاريخ العالم طرأ وهذا مما يبرهن للعالم على قيمة هذه المكشوفات الجليلة التى يرجع الفخر فى كشفها الى همة المرحوم اللورد كارنافون التى لا تمرف الملل ونخوته التى لا يتطرق اليها الكلال ولا يعروها الاعياء ولكن فضلا عن قيمة هذه المكشوفات الصناعية وفائدتها المادية نجد أنها ذات فائدة كبرى فى عالم التاريخ فان المهارة المصرية القديمة والصناعة الدقيقة التى فاقت سائر الصناعات والترف الذى يفوق الوصف قد جعلت سائر الطبقات من الناس من طلبة وسوقة يتساءلون عن مبلغ الصناعات ابان تلك المدنية المصرية العتيقة ومما اذا كان هذا الرقى العظيم قد أثر تأثيراً محسوسا فى الممالك الأخرى المعاصرة لمصر المصاغبة لها عند ما يذكر الانسان ان

مصر هي أول من بنى السفن وسير الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام
 - وابسكر فن الملاحة التي كانت تربط بوئاق مكيين وسبب متين تلك الأمم
 بعضها ببعض وهي الشام وكريت وشرق أفريقيا وجزيرة العرب والخليج
 الفارسي وعدا ما ذكر يجدر بنا أن ندرك هذه النظرية الحقة وهي أن
 مصر كانت القطب الذي دارت عليه رعى المدنية في العالم بأسره . وفضلا عن
 أن تكشف قبر توت - عنخ - آمون يظهر لنا شكل القبور الملكية العظيمة
 فإنه يساعدنا على معرفة أشياء كثيرة ومواد غريبة كنا نراها من قبل
 مرسومة على حياط القبور وجدران المعابد والدور والآن قد تجلت لنا حقيقة
 تلك الأشياء وهذا مما يبعث فينا روح المثابرة والكد في درس تلك
 المكشوفات ويمدنا بمعارف شافية من الحوادث والمناظر المرسومة والنقوش
 الموضوعة على أوراق البردى وجلود الحيوانات وصفائح الزجج وصلائح الزليج
 وان كثيرا من الحقائق التاريخية والاخبار المدونة في كتب بلزوتى
 ولبسياس وروزيليني وولسكنسن قد اكتسب صيغة أخرى بعد كشف
 هذا القبر العجيب . وعند ما يتم هذا الكشف نستطيع أن ندرس شيئا
 كثيرا عن تاريخ هذا الملك وصفاته وسماته وسنه وخلقه وحياته وأوصابه
 وبذلك يتسنى لنا أن نعرف شيئا كثيرا عن تاريخ ذلك العصر الذي وجد
 فيه . وسندرس بشرف كبير ولطف عظيم عصرا من أجل عصور المدنية
 القديمة . فأنك تجد في عصر توت - عنخ آمون هؤلاء الفراعنة الذين شيدوا
 صروح المدنية القديمة كادوا يفقدون سلطانهم وكادت عزمة مصر تفل
 وعرشها يثقل من جراء سياسة أخناتون وأحفاده ولو أن حكم الفراعنة الأشداء
 السديد في الأسرة التاسعة عشرة قد أحيى مجد الأمة المصرية القديمة فترة
 من الزمن قبل أن تهدم عرشها وتفقوض دعائمها . وقبل عهد توت عنخ آمون
 بخمسين سنة قد تصدع قصر كنسوس في كريت وبذلك هوى ركن من
 أركان مدنية البحر الأبيض المتوسط وحل محله الاغريق

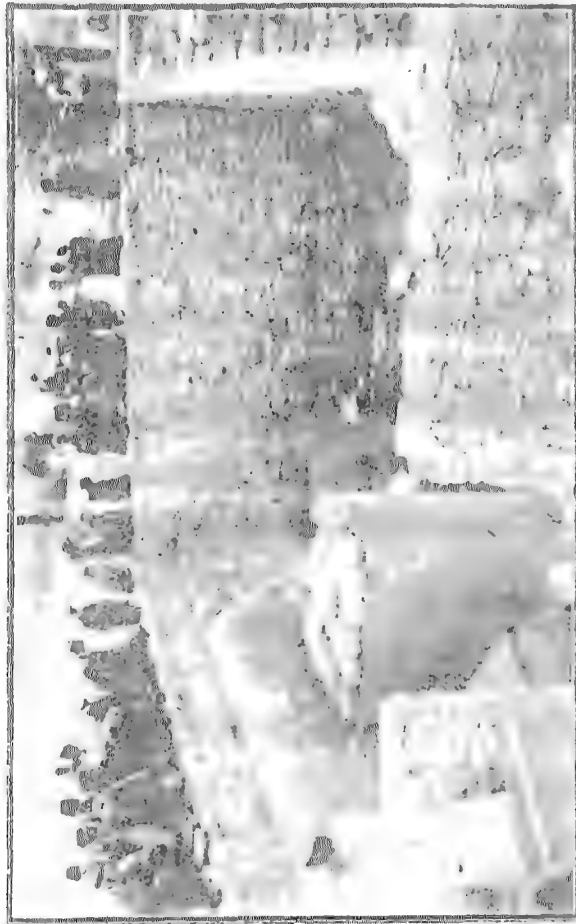
وقد بلغت بالوفيا كذلك أقصى غايتها من المجد ولكن سرعان ما ضعفت تلك الدول الثلاثة القوية ذلك الضعف الذي انضى الى الكفاح الذي قام بين الاشوريين والحثيين اللامرة والنفوذ وبذلك قضت تلك الدول على تلك الولايات مثل ميتاني ولما أن وهنت قواها وئلت عرشها فسحبت مجالا لظهور الفرس في ميدان المنافسة بين ممالك البحر الابيض المتوسط . وهناك سبب آخر دعا الى ضعف النفوذ المصري في آسيا في عهد اخناتون وتوت عنخ آمون وهو ظهور طائفة بني اسرائيل في عالم التاريخ بهذا المظهر الذي أثر في العقائد الدينية والعادات القومية فلو لم يضعف نفوذ السلطة المصرية في ذاك العهد ولم تقع فلسطين تحت نيز السوريين والحثيين والاشوريين ما ظهرت التوراة بهذا المظهر الذي حض الناس على القتال والذود عن الحوض والذب عن الحرم والبسالة ، ولو لم يكن ضعف اخناتون قد مهد السبيل الى القتال في فلسطين وأحدث ثورة جديدة في تاريخ العالم الديني لكانت الليالي حبالى تلدن العجائب من مدينة الشرق الى هدم أركانها ودك صروحها هؤلاء الملوك الضعفاء ولقد ظهر بعد ذلك على مسرح التاريخ تلك الطوائف الآرية في آسيا الصغرى وحول الفرات ودجلة وأعقب ذلك عزق الأمم القوية في غرب آسيا الذي افسح المجال لتلك الطوائف الشرقية التي سادت على تلك الأمم مثل الفرس والهنود وأثر ذلك تأثيراً قويا في العقائد الدينية والحياة الاجتماعية . وحيال تلك الحوادث الخطيرة كانت أهل أوروبا مستيقظة لما يحدث في مصر وبذلك بسطت للعالم تنبؤات عن السياسة الشرقية إذ أنشأت ممالك البحر الشرقي تمثل دوراً جديلاً على مسرح التاريخ فظهر للعالم هؤلاء التجار العظماء الملقبون بالفينيقيين الذين لشروا مدينة الشرق بين سائر أنحاء المعمورة قرونا عدة منذ عهد اخناتون وخلفائه وإن كنا الآن لا نأبه بالفينيقيين وأعمالهم فأننا لا نستطيع ان نبخسهم أعمالهم او نألتهم حقهم فليس سم ريب في ان هؤلاء القوم قد ختموا تاريخهم المجيد بأعمالهم الجليلة فرونا عدة

ولامرية اذن في أن العصر الذى كشف فيه قبر توت - عنخ - امون هو من أجل عصور التاريخ العظيمة اذ بدأ للناس فاتحة عصر جديد وكل بارقة من العلم تشع نورها على هذا العصر الجليل تكشف لنا الطريق الذى نسلكه للوصول الى المدنية القديمة التى نستمد منها الآن مدينتنا الحديثة تلك عبرة لمن تبصر وذكري للذاكرين
وما الحياة بانفاس ترددتها ان الحياة حياة العلم والأدب

وصف الحدث

لقد توليت رحلة وزارة المعارف العمومية فى ربيع سنة ١٩٢٦ ميلادية مع رهن كير من اساتذة المدارس الثانوية الأميرية وطلبتها يبلغون مائة وثمانين قتيماً هذا القبر البهم فى يوم الخميس ٤ مارس سنة ١٩٢٦ ولما أن وصلنا الى الاقصر حططنا رحالنا بنزل حتش بسوت ثم امعننا فى اصبوحة يوم السبت ٦ مارس ولما لصحرنا الفينا جابغفرا من الزوار والسفار مبكرين مهرولين وقد انبثوا على البيداء كالجراد المنتشر حتى خيل لنا أن الارض ومن عليها تموج بهم كما تموج السفينة باليم الزاخر وجل هؤلاء السياح من الغرباء آل العالم القديم والجديد على السواء وقد كانوا يسرون زرافات ووحيدان فبعضهم كان ممتطيا الجياد والحمر وآخرون راكبون المركبات والبهم يحدوهم الشغف ويقودهم الكاف برؤية هذا الأثر الخالد وانه لما يحزننى انه لم يقع بصرى على مصرى غير المكارين والحوذين أو التراجمة الذين كانوا فى خدمة هؤلاء المسافرين فجزعت جزعا شديداً وأسفت أسفاً عظيماً لما رأيت هؤلاء القوم وقد غادروا ديارهم القصية وزايلوا أوطانهم النازحة حباً فى استطلاع أسرار هذا القبر العجيب وكشف مكنونات ذلك الحدث البديع ولم أر مصرياً عالماً أو متعلماً أديباً أو متأدباً غير الطلبة قد دفعه وجدانه ووخزه ضميره وهزته نخوته لرؤية مقابر سكان هذا الوادى

الاقدمين الماتين اليه بطبع والضارين فيه بمرق . ولما بلغنا هذا القبر اشعار
هؤلاء السفار شيعاً وأحزاباً وأنشئوا يلجونه فرادى وأزواجاً نساء
ورجالاً شيباً وشباناً وقد نشر السكون عليهم لواءه وشملهم الهدوء بردائه



(شكل ٣) جدران القبر في القبر

فكانهم من هول هذا القبر قد عراهم الفزع وساورهم الذعر والهلع ما بين
خاشعين وحائرين ومفكرين ومفتونين بسحر مكشوفاته وتعجب أسرارها
وبديع آثارها

ولما أن وصلنا ذلك القبر فتح الباب على مصراعيه وإذا بجثة وحريز
ولعيم مقيم وملك كبير وتساوير تشرق وحلي تبرق وقباب مرفوعات
وشراعات ومقصورات وعرصات واوانات وأوان من معدن ومرمر



(شكل ٤ - مدخل الجذث)

وحلل كأنها الروض الازهر أو الزهر المنور وغلف كأنها غلف من كتاب
وأبواب موشاة كالاثواب
فأبوابها أثوابها من نقوشها فلا ظلم إلا حين قرخى سدوها

ولاذ بالحجرات قد زينت بالوثير من البسط وفرشت بالثمين من السندس
والدمقس كأنها قطع من الفردوس

بسطة أجاد الرسم صانعها وزها عليها النقش والشكل

فيكاد يقطف من أزهارها ويكاد يسقط فوقها النحل

وقد ازدانت الحجرات بالارائك المنصوبة والزراعي المبنوثة والتمارق
المصفوفة والكلال المنثورة والطوارق المتدلية والحجل الحلاة والشوار
المبرقشة والرباط المطرزة والاعاط الموشاة ومطارج الديباج ومناضد الماسج
عليها برد من جلد السنور ومسح من أديم السنجاب وحياط قد اكتست
بالارسيم الاصفر والاستبرق الاخضر والحرير الابيض جمعت سائر الالوان
من أحمر قان وأبيض يقق وأصفر فاقع وأخضر ناضر فكانها قوس قزح
أو الشمس وقت الشفق

وتم مناضد اتكات عليها النصب والدمى والتماثيل بتنسيق بديع ولظام
محكم جميل

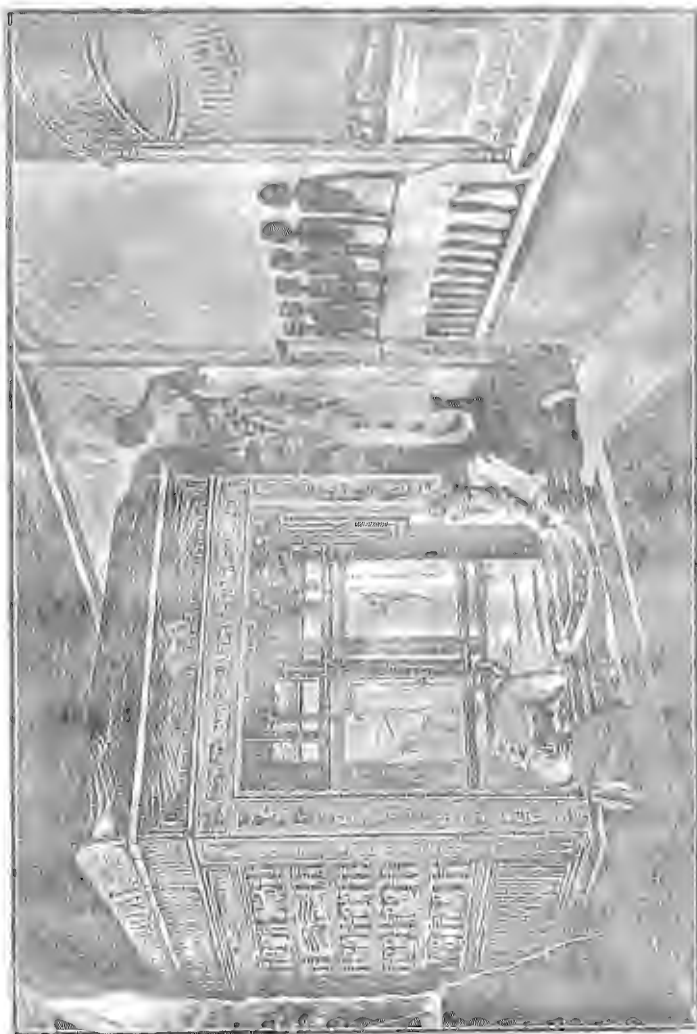
حتى اتكأن على فرش يزيناها من جيد الرقم أزواج تهاويل

فيها الطيور وفيها الاسد مخدرة من كل فن ترى فيها التماثيل

وقد نضدت في أركان الحوطان صفوف من المشاجب والرفارف تحمل
الآنية القديمة العادية والعساس الصينية والصحاف الشرقية والسكرجات
الشفيفة الزجاجية والطهر جارات المعدنية والاحفان الذهبية . وفي ثنايا ذلك
مرآة تعدد فيها الوجوه والافراد فاذا غادرتها الفيتها كربع خلاء أو كصفحة
بيضاء يطل عليها تماثيل وتصاوير وألصاب حوالها السكوتوس والقواوير
وفي الأنهاء مباخر ومواقد الاصطلاء وقد تألقت الحياط بلفائف الديباج
وتلايلات الرفوف بأوان من الخنزف الشفيف وازدانت الاستار بخالص
النضار وتدلّت فيها الثريات كأنها أكمام الازهار أو أزهار الورد
وشقائق النعمان

يزوّدون قبورهم كقصورهم والارض تضحك والرفات الساف

وأجل ما أحضر الفؤاد واستلب الجنان ذلك التابوت الذهبى البديع
الموشى بخالص الابرز الذى يضم بين حناياه تلك الجثة الهادئة المطمئنة



القبور المصرية القديمة - القاهرة

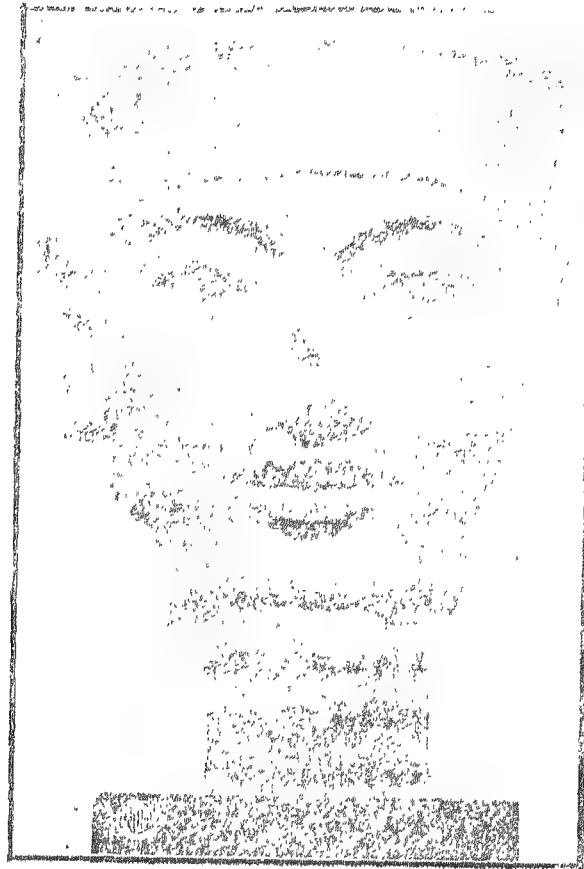
محرستها الالهة المصرية وقد استهوت سكان البسيطة طراً وجبذت أهل
المعمورة طوعاً وقسراً لها من الروعة والجمال وما كانت تملك من

الرياش والمال في تلك الازمنة البائدة والاحيال ولله درالقائل في هذا المقال
 جاءت اليها وفود الارض قاطبة تسعى اشتياقاً الى ما خلد الفاني
 فصغرت كل موجود ضخامتها وغض بنيانها من كل بنيان
 وعاد منكر فضل القوم معترفاً يثني على القوم في سر واءلان
 تلك الهياكل في الامصار شاهدة بأنهم أهل سبق أهل امعان
 وان فرعون في حول ومقدرة وقوم فرعون في الاقدام كفوآن
 اذا أقام عليهم شاهداً حجير في هيكل قامت الاخرى ببرهان
 كائنات هي والاقوام خاشعة أمامها صحف من عالم ثان
 تستقبل العين في أثنائها صور فصيحة الرمز دارت حول جدران
 لو انها أعطيت صوتاً لكان له صدى يروع صم الانس والجنان

توت - عنخ - آمون

في خلال التنقيب في وادي الملوك الذي قام به المستر تيودور -م- دافيز
 من عام ١٩٠٦ الى عام ١٩٠٧ م قد كشفت عدة مخلفات أثرية عليها
 اسم توت - عنخ - آمون. ويغلب أن تكون تلك الخلفات قد سرقت من
 قبر الملك المذكور لإبان حكم حرمحب الذي ولي الملك بعد موت الملك
 توت - عنخ - آمون بوضع سنين ٠ وقد وجد في هذا الوادي المستر ادوارد
 أيرتون الذي كان قائماً بأعمال المستر دافيز عام ١٩٠٦ كآساً زجاجية زرقاء
 اللون جميلة عليها خرطوش الملك توت - عنخ - آمون تحت صخرة في
 سفح تل باذخ هنالك . وفي السنة التالية عند ما كان المستر - ا - هارولد
 جيون قائماً بأعمال الحفر عثر على حجرة منحوتة في الصخر .

ولما كانت هذه الحجرة محتوية على عدة مخلفات عليها اسم توت -
 عنخ آمون ظن المستر دافيز انه ككشف قبر الملك المذكور فأخذ يدون



(شكل ٦) الملك توت - - عتخ - - آمون

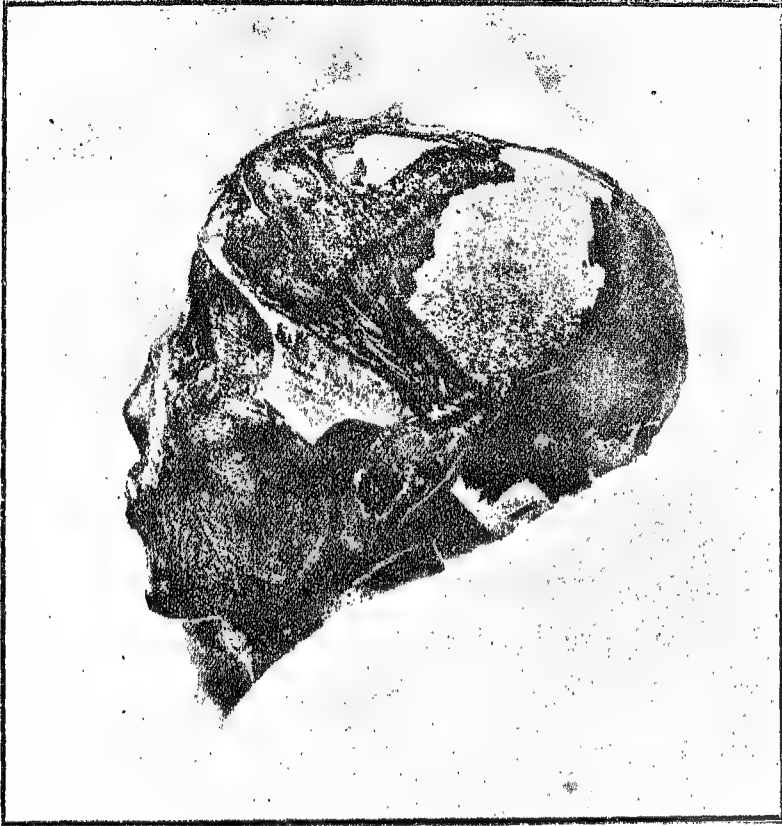
تلك الاشياء في كتاب طبعه عام ١٩١٢ م ذكر فيه أعماله في عام ١٩٠٦
 ١٩٠٧ و ١٩٠٨ م وفي السنة الاخيرة كشف قبر حرتجب في الجانب
 الجنوبي من الحجرة المذكورة وسمي هذا الكتاب « كهوف المسير
 دافين في قبور حرتجب وتوت - عتخ - آمون وابواب الملوك » وافد. دون
 السير جستون مسيرو أيضا كل الحقائق عن حياة الملكين حرتجب وتوت
 عتخ - آمون غير أنه لم يعترف بأن الحجرة التي كشفها المستر هارولد جون

هي قبر توت - عنخ - آمون . لانه في ذيل تقريره قال « انى أزعم أن قبره في الوادى الغربى عن كئيب من قبر امنحتب الثالث وهو آخر ملك دفن في طيبة قبل الملك توت - عنخ - آمون لأن اخناتون وسمنخارا قد دفنا بالممارنه ثم نقلوا الى طيبة كما أن ايا (آى) خلف توت - عنخ - آمون قد نقلت جثته واثامه الى كنز مستور (لما أن انتهى الانقلاب ضد اتونو وأشياعه) كما نقلت جثة (تى) و (خونياتونو) . وربما حدث ذلك في عهد حرمحب ، وهنا وجد المستر دافيز ما بقى من تلك المخلفات بعد نبش القبور ونهب الأجداث ولكن هذا زعم يحتمل الصدق والكذب » ولو ان السير جاستون كان محقا في دعواه بأن الحجره المكشوفه عام ١٩٠٧م ليست بقبر الملك توت - عنخ - آمون فأن زعمه بأن قبر الملك المذكور بجوار سلفه امنحتب الثالث وخلفه (آى) لم يحقق بكشف اللورد كارنارفون الحديث . أما الحجره المذكورة فانها لم تكن سوى خزانة صغيرة احتفظ بها العمال في أثناء الشاغل قبر حرمحب ليخبثوا فيها ماغنموا من المتاع الذى سرقوه من قبور توت - عنخ - آمون وآى . هذا ولم يستبين لنا السبب فى عدم أخذهم سائر الاعلاق والنفائس التى هما . وكانت هذه الحجره دفننه فى الترى الى عمق ٢٥ قدما وملاى بالغرين الذى ساقته الأمطار احقا با طوالا . وفى تلك الحجره قد عثر المنقبون على صيان مكسور به اعلاق ذهبية مخنومة بخاتم الملك توت - عنخ - آمون وزوجته انخ - سينامن وبعضها عليه اسم خلفه أو صهره (آى) وزوجه (تى) ولكن لم يكن بها لقب او سمة خاصة كما عثروا فى الغرين على تمثال صغير من المرمر الاملس الصنيل وفوق قيمة هذا الاثر الجليل الصناعيه تجده غاية فى الجمال وآية فى الاداع اذ تجد الشحلة التى على الآساد ملفوفة على الطراز الشمى ولكن لسوء الحظ لم يكن به نقش أو خط قط ويزعم المستر دافيسى أن هذا التمثال يمثل (آى) عند تبوئه العرش . واذا تبصر الانسان فى هذا القبر المكشوف حديثا وجد صفائح ذهبية ممزقة

من العرش وخراثق من الفرش المنضدة تحاكي الصفائح الذهبية المكشوفة عام ١٩٠٨م التي تمثل الملك توت - عنخ - آمون في نصراته على الاعداء واستبائه الأسارى كما توجد قطع أخرى بها مناظر تحاكي التي نهبت من قبر خلفه . وبعد مضي عدة أيام على كشف الحجرة المذكورة آنفا المحتوية على تلك الخناقات عبر الباحثون عن بعد منها على ركية بها أوان من الخبز الذي يحتوى على حاجيات القبور من اكالييل الرياحين والازاهير وحقائب من المسحوق ولقد كسروا غطاء احدى تلك الحاليات فوجدوا بها قطعة من التيل عليها كتابة بالمداد يرجع تاريخها الى السنة السادسة من حكم الملك توت - عنخ - آمون وفي الكتاب الذي ذكرناه امكن السير جاستون مسبيرو أن يجمع شذرات من المعارف عام ١٩١٢م عن حياة الملك المذكور وحكمه . وفي دار المتحف الانجليزية ترى تمثالى أسدين أوعز بهما الملك المنحصب الثالث لاقامة معبد له بالسودان وزعموا بأن احدهما اقيم تذكارا لابنه الملك توت عنخ آمون . الذى ادعى فيما بعد أنه أصلح آثار أبيه أمنحتب . ولقد مضي نحو قرن والطلبة في ريب عما اذا كان لقب الاب يطلق على الابوة حقيقة أو كان توت عنخ آمون شقيقاً أو أخاً لاختاتون الزنديق صهره ووالد زوجته أو أن لقب الابوة كان للأجلال . ولم نزل هذه المسألة غامضة حتى الآن لان تبوء توت عنخ للعرش كان مبنيّاً على زواجه بابنة أختاتون تلك العادة المصرية القديمة التي تذرع بها الملوك لتبوء العرش . وفي عهد زواج توت عنخ واعتلائه عرش المملكة كان دائماً بديانة آتون التي ابتدعها والد زوجته المذكور وكان اسمه توت - عنخ - آتون . ولكن لما مات أختاتون هجر توت عنخ آتون وزوجته انخ سنبتاتون . ديانة الزندقة واعتنقا ديانة آمون . ونظراً لعادتهم المألوفة في الكلام سميا نفسيهما توت - عنخ - آمون وانخ سينامن . ثم هجرا قصبة البلاد وقتلوا ذهاباً الى طيبة كعبة ديانة آمون التي رحبت بهما أيما ترحيب . وان معارفنا التاريخية عن حكم هذا الملك مستمدة من الرسوم المنقوشة على مغابر طيبة التي أصلحها بعد اعتناقه

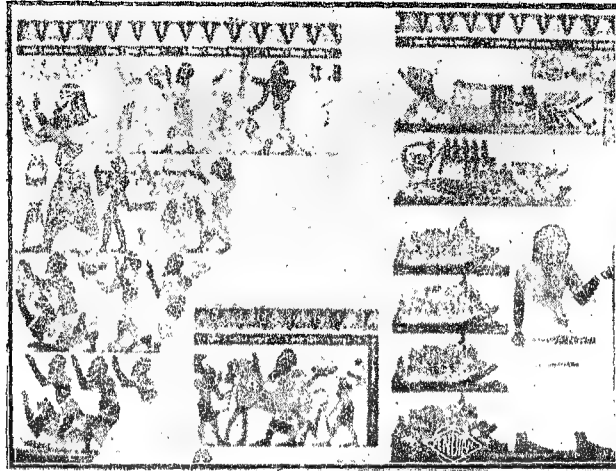
ديانة آمون ولو أن معظم هذه النقوش مزيفة لأن حرمب محاسن توت — عنخ — آمون من كثير منها. كما أن مواردنا التاريخية عن هذا الملك مستمدة كذلك من يابوعين عظيمين وهما (١) قطعة النيل المكشوفة عام ١٩٠٢ م وهي التي تثبت أنه حكم ست سنوات و(٢) عدة صور بديعة وجدت في قبور (هاى) بالقرنة تؤيد المناصلة توت — عنخ — آمون بآتيويا وآسيا وهذه الصور هي من أبدع الصور التي تمثل الحياة المصرية بأجلى معانيها وهي التي استخدمها شامبلون ولبسياس وبروتس ويهل في حل الرموز والطلاسم. وأن النقوش التي بها قد ترجمها الاستاذ برستمن اللغة الهيرغليفية الى اللغة الانجليزية

واليك نبذة مما كتبه الاستاذ برستمن في تاريخ توت — عنخ — آمون « لقد مات الامير (ساكير) صاكير وأعقبه توت — عنخ — آمون (وهو المثل الباقي) لاتون وزوج ابنة أختاتون الأخرى. ولقد أغراه كهنة آمون أن يهجر مدينة أختاتون ويقيم في طيبة التي لم تر فرعوناً منذ عشرين سنة خلعت من ذلك الوقت. فاستهدفت معابد أتون لاتقام زعماء طيبة. وأضحت مدينة أتون الجميلة قاصفاً خاوية على عروشها ينحرق فيها اليوم وتحلق عليها الغربان. وقد كشف في تلك المدينة حجرة مشيدة من اللبن كانت مستعملة داراً للسجلات التي أودعها الملك أختاتون مكاتباته الرسمية وقد وجد بين ظهراني تلك الرسائل ثلاثمائة كتاب ورسالة تدعى الآن «برسائل تل العمارنة» وتلك الرسائل تؤيد المسكّنات التي داوت بين هذا الملك وحكام المقاطعات الآسيوية وملوكها والتي تتم على انحلال الدولة المصرية التدريجي وقد وجد بينها ما يربو على الستين رسالة (لريبادى حاكم بيلوس). وقد عفت كذلك سائر المدن الآتونية وأصبحت أثراً بعد عين. ولكن «جم أتون» كانت بعيدة عن هذا الشعب الذي حل بالبلاد لنزوحها ووجودها في بلاد النوبة حيث ظل بها هذا الأثر الخالد وهو «معبد أتون» «رب جم أتون»



(شكل ٧) جمجمة توت — عنخ — أمون التي تحاكي جمجمة اخناتون

ولما بلغ توت — عنخ — أمون طيبة واقتعد لها قصبه له ظل حاكفاً على
ديانة آتون ولكن غلبت عليه ديانة آمون حتى دعت به الى تغيير لقبه
بتوت — عنخ — أمون. وهذا مما يدل على أنه صار الآن تحت أمره الكهنة
ولكن الدولة التي حكمها لم تتقوض دفعة واحدة غير أنها امتدت من دال
نهر النيل الى بلاد النوبة ثم الى الشلال الرابع . ولم يزل مستمعة بالاتوات
والضرائب المفروضة على فلسطين



(شكل ٨) القرايين الاسيوية تقدم للملك توت — عنخ — امون

ولقد ولى الملك بعد توت — عنخ — امون آى أحد بطانة أخناتون ووليجه الذى كان قد زوج مربية أخناتون المسماة تى . ولقد كان متشبعاً بأراء أخناتون الضعيفة فى مقاومة كهنة آمون ولكن لم يمض زمن طويل حتى قضى نحبهم وتنازع الملك بعده شريكاً كانا منافسين له قبل تبوئهم العرش . فصارت البلاد فوضى حارة لا تلوى على شيء وصارت الفتنة فيها كالحسكة شاككة من كل طرف وأضحت طيبة ضحية جيش لجب من الغاصبين والعابثين الذين دخلوا المقابر الملكية عنوة واستنزفوا ما بها من الحلى والمتاع والرياش وأهم القبور التى نبشت قبر نحتمس الرابع . وسرعان ما توضحت دعائم تلك الدولة الطيبية العظيمة التى ظلت مائتين وخمسين سنة فهوى مجد هذه الاسرة العظيمة التى اكتسحت الرعاة من مصر منذ مائتين وثلاثين سنة خلت من ذلك العهد وشيدت على أنقاضهم أكبر أمة فى الشرق فأفل نجم مصر وخسف قرها وكسفت شمسها التى أضاءت العالم بنورها (عام ١٣٥٠ ق م) ولقد قال مانيتون ان حرمح هو الذى أحيا مجد الامة

المصرية في نهاية الاسرة الثامنة عشرة . ولكن جل مانعرفه عنه هو أنه لم يكن من سلالة ملكيه ولم ينسب قط لهذه الاسرة المتدهورة وهو الذى أحيا ذكرى آمون وأعاد الدستور القديم وافتتح العصر الجديد فى — ذاك العهد —

وقال مدير المتحف البريطانى بلندره :

« فى أيام أخناتون الاخير من حياته قد أناب عنه زوج ابنته المسمى سمخارا الذى ولى الملك بعد وفاته . وقبلما نعرف شيئاً مذكوراً عن تاريخ هذا الملك الاخير لقصر حكمه . ثم خلفه الامير توت — عنخ — آمون الذى تزوج الملكة انخ سنباتن ابنة أخناتون الاخرى وارتقى العرش لتدينه بالديانة التى ابتدعها والد زوجته ولكنه لم يلبث طويلا وهو دائن بتلك الديانة حتى هجرها . ولم يستطع عبادة آتون لخطرسة كهنة طيبة فهجر هو وزوجته هذه الديانة واعتنقا ديانة آمون القديمة وغيرا اسميهما بعد ذلك فاصبح الملك يسمى توت — عنخ — آمون بدل توت — عنخ — آتون وأصبحت زوجته تسمى أنخ سينامن . بدل أنخ سينابن . كما هي العادة المصرية المتبعة فى ذاك العهد وكان غرض توت — عنخ — آمون وما يرمى اليه من تخليد ذكره أن يحو كل ماعمله أخناتون وينسخ تلك الديانة التى ابتدعها بيد أنه لم يقره على هذا الرأى عظماء المؤرخين الحديثين كما يتبين لنا من كتابتهم فى هذا الموضوع »

قال الاستاذ آرثر ويجول « كان أخناتون من بعض الوجوه أول رسول فى الفطره لانتا لو تصفحنا تاريخ البشر منذ خلق العالم لوجدناه أول من عرف الله حق المعرفة كما نعرفه الآن . وفى ذاك العصر الذى بلغت فيه العظمة الحربية أقصى ذراها كان أخناتون عدواً لدوداً لصناديد العالم وهو الذى عبد الله بلا تردد فى الدين أوريب فى اليقين »

وقال الاستاذ برستد « وبذلك اختفى أعظم شخص فى تاريخ الشرق القديم فهما غمظناه قدره وألغناه حقه نر فيه تلك الروح العالية التى لم

يرها العالم من قبل في غيره فقد اخترق صفوف من عاداه في ذلك العهد
القصى وأثبت للعالم أنه رجل الدنيا وواحد الذي لا يعول على أحد
ومصلح العالم الذي لا يساجله فرد صمد»

وقال الاستاذ هول « لقد عجز الشعر عن وصف هذا الفيلسوف
الكبير والمصلح العظيم أول مخلوق برز في عالم التاريخ القديم . . . حقاً
إن أختاتون كان أول حكم في التاريخ وأول معجب فخور »



(شكل ٩) جمجمة أختاتون

وإن رفاهية مصر لم تدم طويلاً بعد موت ذلك الملك توت - عنخ
آمون فبعد مضي بضع سنين نشأت مصائب جمة ورزئت البلاد بكوارث
عديدة وأصبحت الفتنة فيها كالسكة شاكّة من كل طرق . ولم تجد أرملة
الفقيد بدا من أن تلجأ الى ملك الحيثيين مانسة منه أن يرسل اليها أحد

أبنائه لتتزوج به حرصا على كيان المملكة المصرية . وانه لما يسر ذلك الملك أن يرى في مستقبل الأيام احدا ابناؤه متبوئا عرش المملكة المصرية ولكن سجلات « بوغاز كيوى » قد ختمت لما هذه الرواية السياسية الحزنة فما كاد ذلك الامير الحيثى بطاً بقدمه وادى النيل حتى دهمه الامراء المصريون وقتلوه شر قتله وبعد أن انتهى دور هذه المأساة ارتقى عرش مصر ذلك الأب الالهى (آى) الذى كانت زوجته مربية للمملكة نيفرتيتى زوجة امنوفيس الرابع وبذلك خبت الفوضى التى اثارها ملك تل العمارنة وأن توت - عنخ - آمون وآى كانا يمتان الى اسرة ذلك الفرعون المبتدع واذا كانا قد أعادا الى مدينة طيبة مجدها الاصيل وعزها التلبد الذى كان امنوفيس الرابع ولوعا بتقويضه فانهما لم يمسا الاله اتون أو عباده بأذى بليغ وبعد ذلك ظهر على مسرح السياسة حرمحب ذلك القائد الذى دلت الصكوك المتوارثة أنه كان معاصرا للفوضى الدينية التى اندلعت السننها بتل العمارنة ولم يلبث طويلا فى الحكم حتى دهمته المنون وبعدئذ أرخيت السدول على تلك الرواية المصرية الحزنة وبدأ عصر جديد حيث قبض على صولجان مصر طائفة أخرى من الملوك وهم الرماسيس (جمع رمسيس)

ولقد هدم حرمحب كل الصروح المقامة لعبادة آنون فى طيبة . وان الاحجار الكلسية الضخمة التى ازدانت بالنقوش الهيروغليفية قد استخدمت فى أقامة الرتاجين العظميين لمعبدا لكرك اذ نجد وسط هذه الابنية نقوشا محفورة عليها اسماء امنوفيس الرابع وخلفائه الادين . وان التمتع الحديث قد كشف النقاب عن آثار خالده على الرغم من الدمار الذى لحقها من الجنود التركية فى ذلك الجزء من الكرك عند غزوهم البلاد ولقد قال البجائه بس دافين فى رسائله عام ١٨٤٠ م « انى كنت الشاهد السىء الحظ الذى ابصر بعينى رأسه الدمار الذى احده الاتراك بالمقرعات »

ولقد محى اسم توت - عنخ - آمون من معظم الآثار بحذق ومهارة واستعاض عنه حرعوب في جميع الآثار باسمه ولقد ايد ذلك المؤرخ داريسى وهذا مما جعلنا نعتقد أن توت - عنخ - آمون كان قد تلبساً بذلك اذ بعد أن دان بدين صهره صبت نفسه مرة أخرى في آخر لحظة من حياته أن يحيى مرة أخرى عبادة « القرص الشمسى »

وقد زعم بعض الناس أن روح توت - عنخ - آمون قد تقمصت بعوضة وأخذت بثأره من المرحوم اللورد كارنافون كاشف هذا القبر وفاض ختامه فلدغته لدغة كانت القاضية ولكن هذه خزعة من خزعات الأولين وترهة من ترهات السالفين وخرافة من خرافات النوكي وبدعة من بدع الحمقى لا يقبلها ذو العقل السليم اذ يقول الله تعالى في كتابه العزيز « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » « فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » « لكل أجل كتاب » . ولقد قال شاعر الامراء وامير الشعراء احمد شوقي بك في ذكرى كارنافون

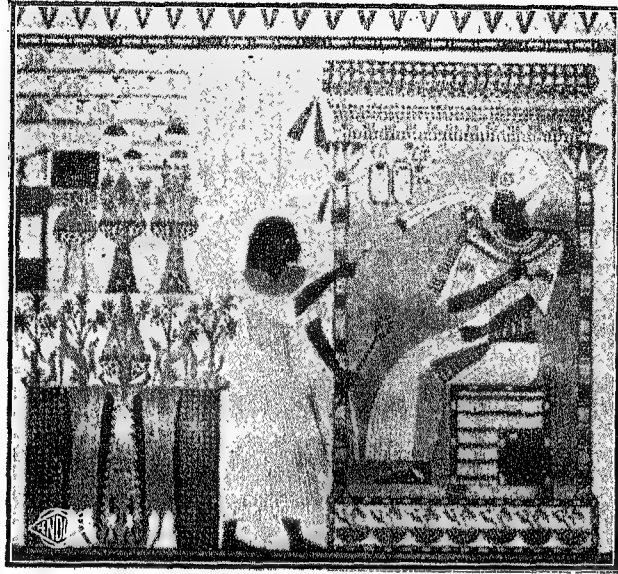
هل كان (توتنخ) تقمص روحه	قص البعوض ومستحسن لهابه
أو كان يحزبك الردى عن صحبه	وهو القديم وفاؤه لصحابه
تالله لو أهدي لك الهرمين من	ذهب لكان أقل ما تجزى به
انت البشير به وقيم قصره	ومقدم النبلاء من حجابيه
اعلمت أقوام الزمان مكانه	وحشدهم في ساحه ورحابه
لولا بنائك في طلاس تربة	ما زاد في شرف على اثرابه
اخنى الحمام على ابن همة نفسه	في الجدد والباني على احسابه
الجانب الصخر العتيد بحاجر	دب الزمان وشب في اسرابه
لو زایل الموتى محاجرهم به	وتلفنوا لتحيروا كضبابه
لم يألوه صبرا ولم ين همة	حتى اتنى بكنوزه ورغابه
افضى الى ختم الزمان ففضه	وحبا الى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى آتى	فرعون بين طعامه وشرابه

المنديل الفياح عود سريره
 وكان راح القاطفين فرغن من
 أماره صبحا ومن ارطابه
 من هالة الملك الجسم وغابه
 في القبر يلتقيان في أطنا به
 مثل الزمان اليوم بعد شبابه
 تحت الثرى والفن عند عجا به
 وتحس ثم العلم عند عبا به



ملوك وملكات الاسرة الثامنة عشرة في نظر آمة التاريخ وأعظم الثقافات

الذكور - ر - هول	الاستاذ فلندرز بترى	الاستاذ برستد	المستشار روجول	مدير المتحف البريطاني
احميس (امازيس)	احميس	احموس	احموس	احميس
امنحسب	امنحسب	امنحسب	امنوفيس	امنوفيس - امنحسب
محمس	محمس	محمس	تووزير	توميس - محمس
تي - تي (الملكة)	تي	تي	تي	تي - تي
اختان	اختان	اختان	اختان	خو - ان - آتن - اخو - ان - آتن
الملك نفرتيتي . نفرتيتي	نفرتيتي	نوفرتيتي	اختان	امنوفيس الرابع - امنحسب الرابع
سمخارا	سمخارا - راسمخكا	ساكر	ميفرتيتي	نيجويرريا
توت - غنخ - آتون	توت - غنخ - آتون	توت - غنخ - آتون	توت - غنخ - آتون	نفرتيت - نفرتيت - نفرتيتي
» - » - آمون	» - » - آمون	» - » - آمون	» - » - آمون	انخ - خيورا
آي	آي	آي	آي	توت - غنخ - آمون
حرمح	حرمح	حرمح	حرمح	آي
				حرمح - حراحب



(شكل ١٠) توت - عنخ - آمون يستقبل الاتاوى الاتيوية

ثمرة هذا الكشف

عند ما يرقب العالم قبر توت - عنخ - آمون وتتكشف له سر أثر هذا الاثر الجليل وما حواه من الآثار الخالدة والخلفات البديعة التي تبرهن على قدرة قدماء المصريين الصناعية وفراهمتهم الفنية تتجلى له حقيقة هذا الكشف وأثره في حضارة العالم وعند ذلك يرى مبلغ رقى البشر الذى أفضى إلى تلك المدنية القديمة . وفضلا عما تظهره تلك الكنوز من الثروة الطائلة التي غيبت في غياهب تلك الغيران التي بوادى الملوك منذ ثلاثين قرنا خلت من وقتنا هذا فانها تدل على مبلغ تقدم الفنون الجميلة التي فتنت العالم بمجملها وادهشته

بروعتها كما أكسبته علما جما وفضلا كبيرا . إذ أنها بعثت في طالع العلم وعابر السبيل هياما عظيما وكافا كبيرا بدراسة تلك المدنية السحيقة التي أبرزت تلك الفنون الجميلة وجعلت كلهما يتساءل عما إذا كان هذا الرقى خيالا أم حقيقة . ولهذا يجدر بنا الآن أن نحصر ههنا في غمرة هذا الكشف والاماث الذي وجد به والذي فاق في اتقانه كل صناعة وفي وشبه كل حياكة كما ان المنسوجات التيلية التي وجدت قد برزت كل نسيج والاعوية المرمية قد فاقت سائر الاعوية التي بالعالم . وناهيك بالتماثيل التي تؤيد النظرية القائلة « بأنها أرواح في قالب أشباح » . فإذا رأينا ذلك تساءلنا عن مبلغ هذه المهارة والفراية التي بدت في تلك المصنوعات الجميلة . وعن مبلغ الثروة والاعلاق النفيسة التي وجدت في هذه الكهوف الغريبة المنشأة على حفا في ذاك الاخدود الصخري القحل وكيف توارت عن أعين البشر هذه الخلفات التي ابرزتها تلك الصناعة الدقيقة في ذاك البقيع العظيم . ان الاجابة على تلك الاسئلة هي التي حدث بالكاشفين إلى كشف هذا الكنز الدفين الذي هو عماد المدنية القديمة التي جعلت لمصر القدر الممل في حلبة الممالك الراقية .

وان الفرص قد جادت لعلماء الآثار المصرية بكية وافرة من الصكوك التي في حوزة مصلحة الآثار المصرية تلك المصلحة التي ضربت على أيدي العابسين والسارقة ونباشي القبور . فان بردى ابوت الذي بدار العاديات البريطانية وبردى امهرست وبرى مرى بلفربول قد امدتنا بمعارف شافية عن هذه القبور ومنها يستدل على ما فعلته أيدي المعتدين الاثمين الذين عشوا في الارض مفسدين وفضوا ختام هذه القبور في الازمان الغابرة وسرقوا ماشاءوا من كنوزها الفاخرة واليك نبذة مما جاء في هذه الصكوك التي ايدت تلك السيئات المروعة

« لقد ولجنا جميعا هذا القبر وفتحنا الاضرحة وفضضنا ختام النواويس وكشفنا الاكفان المحتوية على تلك الجثث فوجدنا من بينها جثة (موميا)

هذا الملك الرائعة ووجدنا عدداً كبيراً من المعوذات والسموط التي كان يتحلى بها جيده وصدره وكان رأسه محلى بكساء ذهبي كما ان جثة الملك كلها كانت موشاة بخالص النضار وبديع العقيان وكانت أكفانه سداها ولحمها مصنوعة من المسجد الاصفر واللجين اليبقى ومرصعة بالاحجار الكريمة فزقنا سائر هذا المسجد عن هذه الجثة الرائعة وانزعنا تلك المعوذات والقلائد وكذلك وجدنا جثة الملكة وشوهناها تشويها ثم اضررنا النار في ذلك القبر البهيم بعد أن سلطنا متاعه ونهبنا ما به من كؤوس ذهبية وأتلاق نفيسة فضية وأخرى نحاسية ثم قسمنا الغنائم ثمانية أقسام متساوية »

الشاهد المستكشف بالسكر نك

أن الشاهد الذي وجد بالسكر نك يؤيد كيف كان توت — عنخ آمون يحض على عبادة إله طيبة الاعظم إذ يقول « أنه قد قوى دعائهم ما تقوض من التماثيل الخالدة كما قاوم تعاليم الملحدون حتى حصص الحق وأقيم ميزان العدل في الوجوهين البحري والقبلي وحكم بالقسط بين الرعية . ولما تبوأ الملك توت عنخ آمون العرش كانت مرافق الحياة عسيرة وكان متاع الآلهة قد فنى وانتقلت آثارهم الى الوجوه البحري كما تقوضت معايدهم وتصدعت صوامعهم وطويت كالمسجل أملاكهم في تلك الحن التي انتابت البلاد والفن التي اعتورت الآفاق ونبت على دمنهم الحسك والقناد ونبتت قبورهم ونهبت ربوعهم وانتهكت حرمانهم وصارت بيعاتهم مواطيء للاقدام وصوامعهم طرائق للسارب بالليل والسارح بالنهار فعم الفساد في العالم وغابت الآلهة عن الوجود ولم ترع هذه الارض المقدسة مرة أخرى حتى اذ بعثت الوفود الى ساحل فينيقيه لتوسيع تخوم المملكة المصرية أخفق مسعاها وحبطت آمالها واذا لاذ رجل بالآله يستعيز به ويتضرع اليه في مسعاه لم يلب الآله نداءه ولم يستمع كلماته وكذلك اذا دعيت ربة



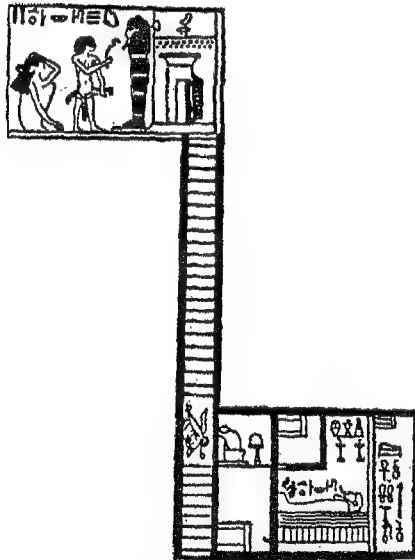
(شكل ١١)

رمز (شاهد) توت — عنخ — آمون المكشوف بالكرنك
والذى يوجد الآن بدار العاديات المصرية

فانها لا تلبى دعوة داعيها ولقد قست قلوب الآلهة من أعمال العباد فكانت
كالجارية أو أشد قسوة لأن الناس قد عاثوا في الارض فساداً وعيشوا
بآلهتهم التى شوهوها ومزقوها شر ممزق « فما هؤلاء القوم يعبدون
ما يشوهون والله تعالى يقول وهو اصدق القائلين « أتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون » والله در من قال

أكلت خنيفة ربهـا عام النقيحـم والحجـاه
لم يتقوا من ربهـم سوء العواقب والتبـاعه
عند ذلك ظهر توت - عنخ - آمون على مسرح الحياة وأخذ
ما أفسده اسلافه بحمية لا يبروها المالل وعزيمة ماضية لا
الكلال فانشأ عمائل جديدة للآلهة ورسم المعابد وأصلح الهياكل و
السكنة والنسالك وطهر الخدمة الذين استخدموا في سياسة الهدم من ا

الخلون والأزليه



(شكل ١٢) منوى الميت

كل تلك الممدات الجميلة ونحت القبور العظيمة في الصخور الصم و
الشم التي تطلبت عناء كبيراً ونصباً كثيراً وأمدادها بالفرش الفاخرة
المبرقشة لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن جسامهم اذ

فيها لا تبلى أبداً ما كثر الجديدان وتعاقب الملوان . وقد تصوروا أن الجثة اذا حنطت لا تبقى البتة ولهذا أمدوا الميت بكل ما لذ وطاب من طعام وشراب وكساء ورياش ومعوذات وأعلاق وطيب أرجشذى وسائر دواعي الترف والنعيم التي اعتاد الملك أن يستمتع بها قبل رحيله من الدار القانية الى الدار الباقية . ولا مرأ أن هذه العقيدة كانت في العصر الأولى من تاريخ الفراعنة راسخة ثابتة . ولا مشاحة أن العناية التي بذلها قدماء المصريين في تأسيس عقائدهم الدينية على أشياء محسوسة وجعل تلك الأشياء المادية تحاكي سائر باطيلهم وأضاليلهم كانت لاعتقادهم أن تلك المعدات ذات أثرين في مزاعمهم وخزعاتهم . وهذه العقيدة مشاهدة في تحنيط الموتى وحفظ الجثث حتى لا تبلى ولا تفتى أبداً اعتقاداً منهم أن هذا العمل مدعاة الى إطالة حياة الانسان . وبذلك صار أملهم في الحياة الأخرى مبني على مهارة الحنط في تحنيط الجثة . وما يدهش الانسان منابرهم على هذا العمل ثلاثين قرناً وهم يبحثون عن أجدى الطرق وأسدها في ترقية صناعتهم هذه . تلك الصناعة التي أثبتت أهمية التحنيط الكبرى لدى قدماء المصريين . فكما أن مهارة النجار كانت منحصرة في اعداد النعش لحفظ الجثة كانت قدوة النحات قاصرة على نحت القبور في الصخور لراحة الموتى وكان الغرض من ترقية فن البناء وقتئذ اسعاد الميت وإقامة الربوع لوليجه وآل بيته ليضحوا فيها الأضاحى ويقربوا القرابين ويطعموا الطعام على حب ساكنيها كما أن تشييد الحجرات كان لإقامة تماثيل الميت وصوره بها فلنشأ من ذلك صناعة أخرى هي وليدة فن التحنيط وهي إقامة التماثيل والدسى التي كانت توضع في معبد القران وكانت تحاكي الميت في كثير من الاحوال هذا وأن عناصر المدنية القديمة هذه مثل فن البناء والنقش والنجارة والنحت كانت وليدة فن التحنيط العجيب كما ان أثرها في العقائد الدينية والشعائر القومية لا يقل عن مصدرها وأساسها وهو التحنيط في أهميته واليك وصف هيرودوت حالة الموت والأسى زمن قدماء المصريين إذ

قال « اذا مات سيد عشيرة قد سودوه أتت اليه نساء عترته ووليجه وخضبن أيديهن ووجوههن بالحناء ثم تركنه في عقر داره وجسن خلال المدينة يندبن ويولولون ويلطمون كما كان الرجال يلطمون مثلن واذا فرغن من هذا النحيب والندبه حملن الجثة لتحنيطها » وهنا لك فئة من الحنطين اختصوا بهذا التحنيط فعند ما تحضر اليهم الجثة يطعمون حملة الميت على نماذج خشبية من الجثث المخططة تحاكي الموتى تمام الحاكاة مستعينين على تصويرها بالالوان المموهة والاصابع الموشاة ويبرزون لهن ثلاثة نماذج منها لاختيار أحدها للنسج على منواله وهي «الانموذج الارقى» و «الانموذج الاوسط» و «الانموذج الادنى» فيختار آل الميت أحدها وبعد أن يتفقن على الأجر يعدن إلى بيتن ويدعن الحنطين يعملون عملهم . ثم يظل التحنيط نحو سبعين يوما . وفي نهاية هذه المدة يحمل آل الميت من النساء الجثة ثمانية ثم يذهبن الى النجار ليصنع لها نعشا خشبياً على هيئة الميت ثم يضعنها فيه ويقفلنه ويحملنه الى القبر باحتفاء واحتفال عظيمين حيث يضعنه منتصباً بجانب الحائط »

وهذه الجثث المخططة تسمى (بالمومياء) وترى أمثلتها كثيراً في دار العاديات المصرية وما يدهش المرء اتقان تحنيطها لانها ظلت عدة آلاف من السنين لم يمتورها الفساد لاسيما وجوها التي لم تزل عليها مسحة الميت ومحياه . وخشية أن يصلها الهواء فيحلمل أجزاءها كسا الحنطون كل جزء من أجزاء الجسم بشرائط من التيل حتى انك ترى أصابع الميت وارجله مكسوة بهذا الكساء



العقائد الدينية القديمة

إن عقيدة الخلود والازلية كانت قديمة العهد جداً . ويرجح بعض المؤرخين أنها أقدم عهداً من المصريين القدماء . ولكن هنالك حججاً بينة تدل على أن هذه العقيدة لم تختصر الا في عهد الفراعنة حينما فطنوا الى تحويل الجنة البالية الى جنة خالده بوساطة التحنيط وفضلاً عن ذلك فان الشعائر الدينية المدعمة قد دعمت على عقيدة المصريين القدماء في احياء الموتى وأشباههم من تماثيل ونصب باحراق البخور وصب المياه العطرية وفقر فم الميت ليتنسم هواء الحياة ثانية وما شا كل ذلك من الاعمال التي تعيد الحياة إلى الميت في اعتقادهم وبوساطة هذه الشعائر الدينية اعتقدوا أن الكاهن يستطيع احياء الجنة الهامدة وجعلها قادرة على القيام بأعباء الحياة بل واستماع احاديث الآخرين ومساعدة البائسين وتلبية نداء السائلين . ولم يكن ثمة دولة أخرى في الأ عصر الحالية قد أعارت هذه العقائد الدينية المدهشة عناية كبرى غير مصر . فقد ابتدعها سكان وادي النيل القدماء وعدوها جزءاً لا يتجزأ من فلسفة الحياة والموت وبذلك ظنوا أن حياتهم ستظل آمنة وجسومهم محفوظة لا يعتورها البلى ولا يساورها الفساد كما وثق كل واحد منهم بنصيبه في الخلود ومكافأته بعد حياته الدنيوية بعيشة راضية في جنة عالية قطوفها دائية

وقد نشأت هذه العقيدة منذ ستين قرناً خلت من وقتنا هذا أى قبل بدء المدنية المصرية القديمة . ولكن هذا الحادث الجلل وهو بزوغ شمس المدنية المصرية على العالم قد أيد هذه العقائد وبعث في الناس شغفاً كبيراً وهياماً عظيماً بدراستها

بلوج فجر المدنية

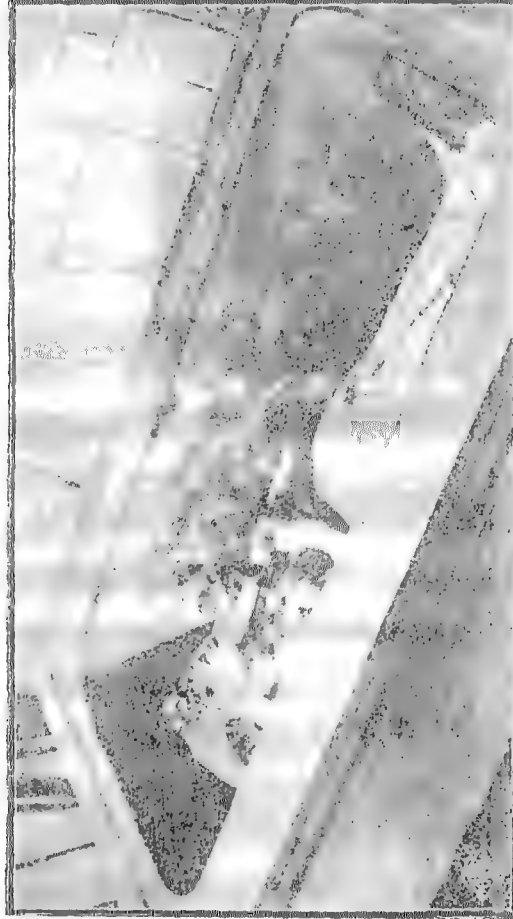
لقد تبلج فجر المدنية الشرقية حينما ابتكر قدماء المصريين طرق الزراعة وابتدعوا وسائل الري . اذ كان مهندس الري في ذاك العهد أول رجل في تاريخ العالم عرف كيف يسوس عمله وينظم أمورهم وبذلك صار حاكما على ولايته اميرا على رعيته ولم يكن شئ تفقيرا ليه مصر في تاريخها القديم سوى حكومة فردية قوية توليها امورها وتسترعيا حقوقها لان الميزة التي امتازت بها مصر على سائر الممالك الاخرى وجود نهر النيل العظيم الذي جعل سعادة البلاد ورفاهيتها تتوقف على توزيع مياه الري بالقسطاس الحكيم على سائر البلدان . فليس اذن من العجيب أن ترى المهندس الذي افلح في قضاء مهمته يهيمن على رعيته ويسيطر على حياة امته فيصبح حاكما عدلا بينهم يجدونه في حياته ويعبدونه بعد وفاته ويلقبونه بالاله اوزوريس علما لنهر النيل الذي هو السبب في حياة البلاد وسعادة الاهلين . ومن العجيب العجيب أن ترى هذا الفرد الاحد هو المهيمن العزيز المسيطر على حياة رعيته ورفاهية امته . وما ذلك إلا لأن المصريين القدماء لم يألوا حاكما غيره أو يروا فرعوناً دونه في ذاك العهد وربما لم تكن العلاقة بين هذه النظرية وبين توت - عنخ - آمون جليلة واضحة . ولكن عندما يتحقق الانسان أن الحياة الاجتماعية في ذاك العهد تتمثل في الاله اوزوريس يسهل عليه أن يتصور أن الغرض من التحنيط وحفظ الجثة هو تمثيل الميت باوزوريس حتى القيوم لكي تتجلى فيه الصفات الالهية المذكورة فيمنح الخلود والازلية والسعادة الابدية ولما كان ملوك المصريين القدماء قد بلغوا غاية عظيمة من الثراء والسلطان فانهم لم يترددوا قط في إنفاق اموالهم الباهظة وعنايتهم العظيمة في اقامة المقابر لعقيدتهم الباطلة ومزاعمهم الفاسدة في الحياة بعد الموت . وكانت هذه العقيدة مستأصلة فيهم في عهد توت - عنخ - آمون

أي منذ عشرين قرنا خلت وبذلك أنفقوا أموالا باهظة كما ذكرنا في انشاء مقابرهم وتخليد ما نرهم « بابواب الملوك » . وان الغاية من دراسة هذه العادات المدهشة والعقائد الباطلة لم تكن لانها من مبتكرات المصريين فقط حتى يمكننا تقفيها من البداية الى النهاية بل لان الامم الاخرى القديمة التي تدين أوروبا لها بمدنييتها الحالية قد اخذوا قسطا وافرا من عادات المصريين القدماء ونسجوا على منوالها وهذبوها ثم جعلوها القطب الذي تدور عليه رحي المدينة الحديثة . ومن ثم يتضح لنا أن دراسة التاريخ المصرى القديم تقودنا الى دراسة حياتنا الاجتماعية وعاداتنا القومية التي نحن بصدها كل يوم ولهذا يجدر بنا أن ننظر الى التحنيط نظرة ارقى من التي ننظرها لجرد الروعة والفتون لان هذا الفن قد مثل دورا كبيرا في تقدم المدنية البشرية من الوجهة الفنية والعلمية والعمرانية

البحث والنشور

اذا رجعنا البصر كرة في التحنيط والغرض الذي يرمى اليه صناعه رأينا من عهد نشأته في تلك العصور السحيقة أن الخنط المصرى يعنى وجهتين قد ولى وجهه شطرهما في صناعته — الغرض الاول ان يحافظ على عناصر الجسم بقدر طاقته — الغرض الثانى وهو اصعب مراما وابعد غاية من الاول وهو أن يحافظ على شكل الميت وبخاصة بحياه ولم يكن هذا الغرض لجرد حفظ هيئة الميت فقط بل لجعل الجثمان يحاكي الشخص المتوفى بقدر استطاعته أو بعبارة اوضح من ذلك جعل الميت يحاكي الحى حتى يظل الانسان فى اعتقادهم حيا خالدا مستمتعا بكامل حياته . ذلك لان المصريين كانوا يعتقدون أن فى استطاعتهم منح الحياة للبيكل المائل للانسان حتى أن اللفظ الذى اصطلح عليه النحات فى نحت التمثال هو كما ترجمه حرفيا الدكتور ان جاردنر « يخلق » أو « يحيى »

وبعد ذلك لم يبق نعمة ريب في أنهم قصدوا من إقامة التماثيل الخلود لا مجرد الزينة ويجدر بنا أن نذكر أنه عند نشوء هذه العقائد في تلك الأزمان البائدة لم يكن علم الحياة أو علم الطبيعيات معروفا وقتئذ حتى يقف حجر عثرة في سبيل تحقيق ما رآه المصريون وأمازيهم الخيالية في ذاك العهد . ولا مزية في أن الفلاسفة في ذاك العهد كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا بإطالة الحياة لبلوغ تلك الأمنية إذا توافرت سائر الشروط وهي أمنية الخلود والبقاء ولما ابتدع فن التحنيط وربما كان ذلك في عهد الأسرة الأولى حوالي عام ٣٤٠٠ قبل ميلاد المسيح عليه السلام أيقن المخطون أنه إذا كان جو مصر يلائم حفظ العناصر المكون منها الجسم سهل عليهم حفظ هيئته وأوضاعه وإذا لم يكن ملائما تعذر عليهم ذلك فابتكروا وسائل عدة في خلال الأسرة الثانية والثالثة والرابعة بلف أجزاء الجسم لفا محكما حتى يحفظ شكله الحيوى ثم صبغوه بمواد كالصمغ والغراء ورسموا شكلا يحاكيه تمام المحاكاة على النعش . ولما اخفق مسعاهم وحبط عملهم في حفظ الجثة على شكلها الحيوى الى الأبد عمدوا الى إقامة التماثيل والدُمى التى تحاكي الميت وصنعوها من الخشب المتين أو الحجر الصلب واستعانوا على تصويرها بالاصبغة الموشاة والالوان المموهة والاعين الصناعية حتى صارت تماثيل الميت بقدر الامكان وان المهارة العظيمة والحذق المدهش اللذين ابداهما قدماء المصريين في عهد بناء الاهرام قد تغلبا على الصعوبات التى تصدت للنقاشين في جعل الاثر يحاكي الميت كل المحاكاة فبلغ فن النحت في ذاك العهد مبلغا لم يبلغه من قبل . ولم يعد تقدم فن النقش هذا فخرا مبينا للصانع فحسب بل الفخر الأعظم له حفظ الاثر الذى بخلوده يظل الجثمان باقيا لا يبل على كر الغداة ومر العشى



(شكل ١٣) الملك توت - عتيخ - آمون . في منواه الابخير

التحنيط والقبور

ومع أن هؤلاء المخططين القدماء احرزوا قصب السبق في صناعتهم
لم ييأسوا قط من ايصالها الى حد الكمال بجمل الجئمة المخططة تحاكي

الشخص المتوفى تمام الحاكاة . فظلوا يبذلون جهدهم ويستنفذون وسعهم مدرعين بالصبر والاناة في عملهم هذا الشاق . ولكنهم لم يستطيعوا ابراز الجئة المخططة في صورة تمثيلية تحاكي الميت تمام الحاكاة الا في عهد الاسرة الحادية والعشرين . واذا نظرنا الى هذه الصناعة الاخيرة وهي ابراز الجئة المخططة في قالب صوره جميلة نرى انها قد حطت من فلسفة الفنون الجميلة ولكن اذا نظر اليها المخطط في ذلك العهد يرى انها نهاية أربه بيد انها في الحقيقة مقدمة لمخطط صنعه لان هذه الصناعة المستحدثة التي هي وليدة التخطيط اصبحت من أشق الصناعات إذ يتعذر على المصور إدراكها بالدقه فاصحاح من التخطيط لذلك ولكي يحفى المخطط عن أعين الناس نفصه في صناعته عمد الى حيلة احتاها وهي أن يولى وجهه شطر كساء الجئة وتمييقها وتجميلها أكثر من عنايته بتخطيطها

وفي الحق أننا اذا نظرنا الى عمل المخططين في عهد الاسرة الحادية والعشرين نرى أنها أعجوبة من أعاجيب العالم ومعجزة من معجزات الانسان الذي استطاع أن يحول شكل الميت الى شكل الحى واذا قسنا تلك الصناعة في أدوارها المختلفة بمقياس الحكمة والفلسفة الفنية رى أنها بلغت أوجها في عهد الاسرة الثامنة عشرة أى زمن توت - عنخ - آمون وأعظم أمثلة لها هي ما يراه المرء في جئة (يوا) المخططة (المومياء) وجئة (توا) وجئة (سبتى الاول) تلك الامثلة التي تدل على أنه في العصر الذي حنط فيه (توت - عنخ - آمون) قد بلغ المخطون والمصورون مبلغا عظيما لم يبلغه غيرهم في ابراز الجئة المخططة في صورة بديعة لم يشهد العالم مثلها في تاريخ الصناعات .

غير ان نباشى القبور وسرقة الاجداث قد أبرزوا لعالم الفنون الجميلة تلك النماذج البديعة من الجئة المخططة (المومياء) في عهد الاسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين أى قبيل وبعيد النبوغ الفنى الذى حدث حوالى عهد توت - عنخ - آمون ولو ان هؤلاء النباشين قد ركبوا متن الشطط

في عملهم هذا فاتجهت أنظار العالم لاصلاح ما أفسدوه . كما ان نهب القبور الملكية في الاسرة العشرين وما بذله القساوسة والرهبان في رتق هذا الفتق ورأب ذاك الصدع قد بعث على تغيير الخطط المتبعة في هذا الفن في عهد الاسرة الحادية والعشرين لان اشتغالهم بذلك سهل عليهم دراسة أغاليط اسلافهم ومداواتها — ولقد استفاد السكبان كثيرا من نجاحهم هذه يشهد بذلك التغيير الذى طرأ على هذه الصناعة التى بلغت في الاسرة العشرين مبلغا لم تبلغه من قبل — لان الافكار العامة قد اتجهت الى اصلاح النقص والتشويه الذى بدا على (المومياء) في عهد الاسرة التاسعة عشرة . فان الحدود الضامرة قد برزت لما حشيت بالتيل أو الصلصال ثم صبغت وأعيدت العيون الصناعية للجثة كما ان الالف والاذنين والشفتين قد حفظت في كساء من الشمع كما اتخذت وسائل أخرى لتحويل (المومياء) من شكلها الهزيل الى شكلها الحيوى الصحى . وقد بلغ فن التحنيط أوج غايته وأقصى مداه في خلال الستة القرون التى تبدأ من سنة ١٥٠٠ وتنتهى في سنة ٩٤٠ قبل ميلاد المسيح عليه السلام تلك الفترة الممتدة في مجموعة التحف والآثار التى بدار الآثار المصرية اذ هى تمثل خطط المصريين في تحنيط الموتى وبلوغ هذا الفن أقصى غايته كما انها الآن مصدر معارفنا في تاريخ هذا الفن الجميل . ولقد اوضحنا فيما سبق الاسباب التى حدثت بدماء المصريين الى تشييد قبورهم وامدادها بدواعى الترف والنعيم . اذ كان الغرض من تحنيط جثة الفرعون من الفراعنة البقاء والخلود بمد الموت وان عقيدتهم لبلوغ هذه الغاية تتوقف على حفظ الجثة في قبر لا يبلى أبدا وذلك مما دعاهم الى امداد القبور بالرياش الفاخر والمؤن السكافية لأطعام الميت وراحته واستمتاعه بكل دواعى الترف والبذخ وضروب النعيم التى كان يألفها في حياته ولزيادة التحقق من ذلك نقشوا على حياط القبور وعلى النواوس والنمش وعلى أوراق البردى والرقوق المنظومة في القبور بعض آيهم المقدسة التى تجعل في زعمهم روح الملك

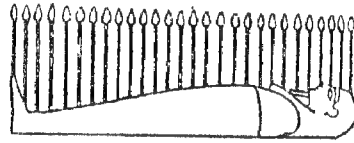
تمثل في أوزوريس الحى القيوم فمشارك هذا الاله في الهيته ويشاطره أزلته كما انما هو طرقا أخرى راسكروا خططا شتى بلوغ هذه الامنية ولم تر العين من الحفلات الاثرية الحلالة في عهد الاسرة الثامنة عسرة مثل «أوزوريس المنبت» الذى استرعى الافئدة واستهوى الالباب . وقد وجد كثير من نماذج هذا المثال العظيم في قبور اسلاف توت عنخ امون مصاحبة للجنة حتى عصر امنمخسب الثانى (اى عام ١٤٢٠ ق : م) كما ان حيا الانونج قد بلغ مهابة الكمال في قبر خلفه حرسب اى (عام ١٣١٥ ق . م) ولا يبعد ان يوجد كذلك في قرونوت — عنخ — امون وهذا الاثر الجليل مكون من صندوق طوله خمس اقدام ومصنوع على هيئة الاله «أوزوريس» لابسا ناحه وقابضا على محصره وصولحاه . وترى الصندوق مقسما قطاعا خشبية تبدو عليها تعاريج الوجه وقلادة العنق والاذرع وهو مملوء بالثرين المزدرع فيه الشعر . ولما ينبت الشعر وتعلو سيمانه بقدر بوصتين او ثلاث يغطى بغطاء بحاكة بوساطة دسر خشبية . ثم ينمش الغطاء ويلون باللون الازرق فنبدو عليه سمات الجسم ظاهرة بارزة وملونة بخطوط سوداء وحمراء

ولقد كان لقدماء المصريين طرق عدة لتحنيط الموتى أهمها مايلي :

اذا مات الميت ذهب وليجته او عترته الى الحنط ليريهما نماذج ثلاثا للحنيط تختار ما تشاء كما ذكرنا . ثم جرى بالميت اليه وعند ذلك يضعه الحنط على نصب التحنيط ثم يقب ثوبا في دماغه يخرج منه المخ وينقب ثوبا آخر في جانبه الايسر ويخرج منه الحوايا والعي ثم ينقع الجسم في مزيج من الترون والسوائل الاخرى مدة نصف وشهر كي لا يعفن الجسم ثم يملأ البطن بقطع من الكتان او الرماد او نشارة الخشب بعد ان يضيف اليها مواد عطرية ارجة ثم يلف سائر الجثمان في لفائف من الكتان المطلى بالفير حتى لا يصل اليه الهواء فيمحال أجزاءه او تصل اليه الهوام فتأكل لحاءه ثم توضع الجثة في تابوت او اكبر حسب فطرة المتوفى ومنزلته وتلك

التوايبت مصنوعة من الخشب الجيد ثم توضع في تابوت حجري وتدفن في الحفائر المنقوبة في الصخور الصلدة والصياخيد الصلبة لا يتسرب اليها ماء النيل زمن الفيضان لهذا اختاروا الاضرحة والنواويس في ذرى التلال وقلل الجبال ونجاد الربى والآكام . وفضلا عن هذه الوسائل كلها التي اتخذها المصريون لحفظ الجثة من البلى كانت الفراعنة والنبلاء يعملون الدمي والتماثيل التي تحاكي الميت تمام الحماكة وينقشون اسم الميت عليها حتى اذا بلى الجثمان أبت (السكا) الروح الى التمثال يوم البعث والنشور فيستمتع الميت بكل وسائل الترف والنعيم كما كان في الحياة الدنيا

الملك وأوزوريس



(شكل ١٤) اوزوريس المنبت

لقد أوضحنا فيما سبق عادات المصريين القدماء في الجنازات والمناحات والشعائر الدينية والمناسك القومية التي كانت جزءا لا يتجزأ من حفلات القبور وكيف كان الغرض منها لاطالة حياة الميت وتمتعه بالخلود كما كان الغرض من التحنيط لحفظ الجثمان من البلى ولذلك عمد آل الفقيد الى كل حيلة احتالوها بلوغ هذه الامنية كما أمدوا الميت بكل صنوف الطعام والشراب وضروب الترف والنعيم وفضلا عن ذلك قد وضعوا بجانبه « اوزوريس المنبت » ليحيي الجثة الهامدة ويطيل في حياتها وكما ان قدره هذا الاله كانت مستمدة من شكله المعروف فان روحه صارت مستمدة كذلك من الشعير النابت الذي يدل على التطور من العدم الى الحياة . ولقد كان للشعير منزلة الاولى بين سائر الحبوب لانه أقدم غذاء البشر في عهد المدنية

القديمة . اذ كان عماد الحياة والمادة التي يعمل منها المذر ذلك الشراب الذي كان في عقيدتهم « شرابا طاهرا مقدسا » لاشتماله على المواد المكونة منها الحياة والباعثة على اطالتها ولأن أس العبادة المصرية قائم على بلوغ هذه العاية ولان شكل حبة الشعير يحاكي « عضو التأنيث » (منبع الحياة) صارت هذه الحبة رمزا لقوام المعيشة ومنبعها للحياة كما صارت علما على الأم الالهية التي هي مصدر الحياة مثل حاتور وايزيس وبذلك صار الشعير رمزا حيويا لاطالة الحياة اكثر منه ماديا لاستخدامه في الطعام والشراب . وترى هذه العقيدة مدونة في كتاب آيات الاكفان للدولة المدعة الذي ترجمه . م - لاكو حيث ترى الميت ممثلا في اوزوريس الشعير كما ترى ذلك مذكورا في الآيات الهرمية في المصور الأولى من تاريخ الفراعنة حيث تقول روح الملك المتوفي نقلا عن الاستاذ برستد . « انى اوزوريس حى قيوم كباتى الآلهة . انى اعيدش كحبة الشعير وانمو كحبة الشعير » وكما أن النيل يمثل فى فى الاله اوزوريس لانه يمنح الحياة للشعير بسقيه اياه كذلك كان الاله يمنح الخلود والحياة للميت

قصة الطوفان

منذ نصف قرن خلا من وقتنا هذا اتفق اصحاب صحيفة (الدبلى تلغراف) البرق اليومية مع رؤساء المتحف البريطانى أن يرسلوا المسترجوع سمح الى أرض الجزيرة بالعراق للبحث فى انقاض دار الكتب لاشور بانيمبال فى ينوى عن قطع من اللواح المكتوبة الضائعة لرأب الصدع ورتق الفتق الذى كان فى حكاية الطوفان الكلدانية . وان ذبوعه هذا النبأ العظيم وكشف هذا السر العجيب قد هاج مهج العالم وادهش افئدة البشر فى سائر انحاء المعمورة . ولقد قامت هذه الصحيفة الغراء بالاتفاق على هذا الكشف وحدها . ومع أن سر هذه الحكاية قد وجد فى مكتبة

اشورية لم تكن أقدم عهداً من القرن السابع قبل الميلاد فان المستر جورج سميث تنبأ بأن المستقل سيظهر أن هذه الحكاية أقدم عهداً من ذلك بكثير كما ايد ذلك كتاب «بشر» . لهذا وان الكشف الحديث للصورة الاصلية السومارية لهذه الحكاية التي كتبت منذ عشرين قرناً قبل تاريخ دار كتب اشور بانيمال قد ايدت اقوال المستر جورج سميث ونبوءاته ومما يزيدنا عجباً ان نقرأ هذه الحكاية المدهشة التي خلعت الافئدة واستهوت الألباب في صحف قبور وادي الملوك . اذ كشف على حيطان قبر سيقى الاول الذي دفن في جميع طيبة بعد موت بون — عنج — آمون بسبعين سنة او اقل تلك الحكاية الرائعة التي عنوانها « هلاك البشر » وعلى الرغم من ان هذه الحكاية منقوشة على هذا العبر المذكور فإن القموض الذي بخطها العتيق قد حملها غير واضحة لطلاب الآثار الذين استنبطوا أن هذا الحادث الجلل قد حدث منذ أربعة آلاف سنة خلت من وقتنا هذا . ومع ان النقوش المذكورة التي في قبر سيقى يدل على ان هذا الدمار الذي حدث لم يكن من جراء الطوفان فإن الحكاية المصرية والحكاية العراقية بمجمعتان على الاصل ومتفقتان في الجوهر وان كانت الاولى عنوانها « هلاك البشر » والثانية عنوانها « قصة الطوفان »

وربما يتساءل الناس لماذا نقشت هذه الحكاية المقدسة على قبر أحد الفراعنة . ان الاجابة على ذلك هو ان الغرض منها ان يحتفظ الملك المتوفى بتلك النعمة الجليلة والهبة العظيمة التي دار عليها محور هذه القصة فهمي تؤيد كيف أن سن السكولة قد أثر في صحة الملك الذي يتوقف عليه قوة شعبه ورفاهية وعيته . وما نقص عيش الملك وسلب نعيمه وكدر صفوه في ذلك العهد ثوران الشعب في وجهه وخروجهم عن طاعته اذا وهنت عزيمته وضعفت شوكرته لانه في تلك الاعصر الحالية كانت تتوقف حياة الرعية وصيانتها على قوة مليكها كما كان من عادتهم ذبيح الملك اذا خارت عزيمته وضعفت ارادته وتولية ملك غيره قويت شكيمته واشتد ساعده . وان الغاية من هذه

القصة التي صارت طليساً يحفظ حياة الملك وتعويدة لاطالة حياته (وهذا هو الغرض من نقشها على قبر فرعون المذكور) هي انها كانت تصف كيف أن الملك الكهل يخدع الطبيعة ويقوى عليها ويتصاىب ثانية . وأن أكسير الحياة الذي كان له قد يستمده مرة أخرى من دماء رعيته التي أمر بذبحها لما جنته من الأثم الكبير وهو الغدر بالملك والكفر بالنعمة وخروجهم عليه لضعف صحته ووهن عزيمته . ولكنهم لما نحرروا تصاىب الملك من دمائهم واستمتع ثانياً بعيشة راضية مرضية وحياة أبدية فامتطى صهوة البقرة المقدسة وعرج في السماء وفاز بالنعيم السرمدي . وتلك القصة المدهشة عنها كان الغرض منها المحافظة على حياة الملك في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهي تشمل كذلك مبادئ الوثنية التي ظلت ردحاً طويلاً من الزمان وانبثت في سائر الآفاق أبان المدنية القديمة . ومع أننا لم نعر عليها في قبر توت - عنخ - آمون فانها كانت منشورة في عهده لأنها وجدت منقوشة على قبر خلفائه الذين حكموا بعد مضي نصف قرن من وفاته ولا مرأ أن هذه القصة قديمة العهد جداً غير أنه اتتايتها أساطير الجاهلية وخرافات الوثنية . ولقد أشرنا إليها هنا لأن معالمها بدت على الأثاث الذي وجد في قبر توت - عنخ - آمون كما أيد ذلك ما وجد منقوشاً في قبر سيتي الأول ورمسيس الثاني

ولقد كان الغرض من « هلاك البشر » الوصول إلى الحياة والتمتع بالخلود ولبلوغ هذه الامنية عمدوا إلى إقامة الشعائر والمناسك الدينية بكل ما أوتوا من بأس وقوة لانهم اعتقدوا هذه الخرافة أن « قتل البشر » كان لامداد الملك المتوفى بمادة الحياة التي هي عبارة عن الدم البشري كما ينأ حتى يصل بذلك إلى الخلود الذي كان من صفات الآلهة وان دم الاولياء البرآء المذبوحين فداءً لمليكمهم هو مادة الحياة التي بها يتحول ساكن الارض الفاني إلى ملك حي باق وان الذريعة التي تذرع بها الملك في قتل تلك النفوس البريئة هي الخطيئة والغدر بالذنان اتهمهم بهما الملك بقوله

أنهم عملوا على إذاعة هرمه وضعف ارادته فلقوا خنقهم ذلك لانه رأى أن إذاعة هذا النبأ قصاصه الاعدام . ومن عهد العصور الأولى التى ظهرت فيها هذه العقيدة الى ان وصلت الى عهد الملك سبتى رأت الرعية قتل الملك الهرم واحلال الملك الفقى القوى القدير محله فلا نعجب اذن من شعور الملك اذا تارت رعيته فى وجهه لكبر سنه وفل عزمه ووهن قوته تلك الصفات التى حدث بهم الى قتله ولعد أوضحنا فيما سبق ان تهمة القدر هذه والخروج على الملك هى عنوان « الخطيئة الاصلية » التى ذكرها علماء اللاهوت . وهذه القصة عينها هى التى ذكرت فى كتاب جنسس بشكل آخر فامتزجت القصة الاولى « هلاك البشر » بالقصة الثانية « طوفان النيل » كما صار دم البشر المضحى به علما على ماء النيل الاحمر زمن الفيضان ولوان كلما القصتين متفقتان فى عنصرهما وفائدتهما والغرض الاسمى الذى يرميان اليه هو احياء الملك وسعادة شعبه ولما ان ذاعت هذه الحكاية فى البلدان الاجنبية كثر رواياتها فتتمثلت لهم بشكل آخر وعزوا هلاك البشر الى فيضان النيل وما آفة الاخبار الا رواياتها . وان هذه الحكاية قد تأصلت فى تاريخ الاديان الاخرى ولم يكن ذلك لانها أظهرت غضب الآلهة على الائم المساور للذنوب بل لأنها مهدت للملك الشيخ اعادة شبابه وتمثله فى شكل اله قوى قدير كما ان حوايا القبور الملكية المصرية كانت النطب الذى دارت عليه رضى العقائد الدينية الاخرى التى تأصلت فى الامم التى كانت مرتبطة بمصر بذاك النظام العرفى القائم على نظرية الخلود التى ابتدعها التمكن المصرى القديم فهى عهد لنا السبيل وتسير لنا الحجة لدراسة تاريخ اسرائيل ومعتقداتهم .

ومن مميزات العادات والعقائد الدينية التى كانت للفراعنة انهم كانوا يعبرون عن الاشياء على سذاجتها وبساطتها كما تبدو لهم . ولا يمكننا ان نجد أمة أخرى نستطيع تقفى آثارها وأدوار نشوئها ومناحي مدينتها

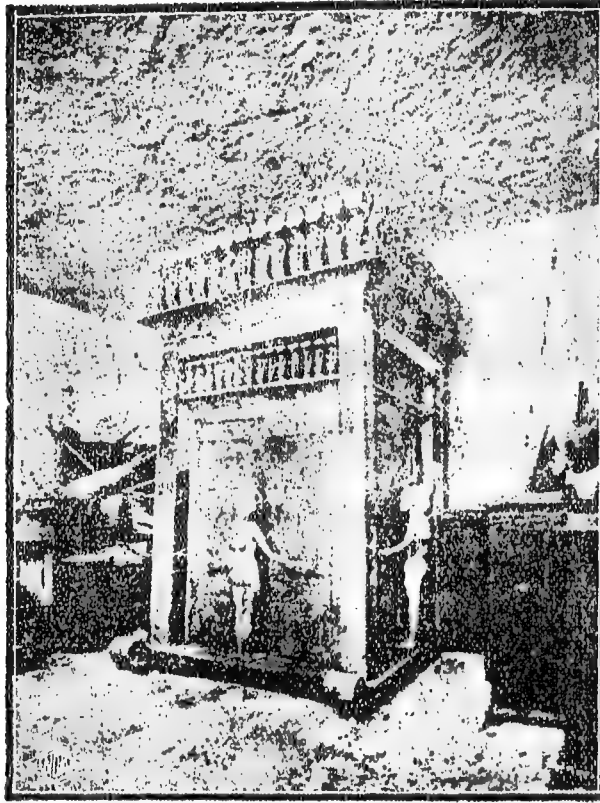
كالامة المصرية . ولم تك أدوار المدنية هذه الممثلة في ربوعهم ودورهم محفوظة على حالها حتى وقتنا هذا فحسب بل نجد أنها منقوشة على القبور بشكل واضح مما سهل على حالى المعضلات وكاشفى الظلمات دراستها والوقوف على الغاية التى قصدها صناعتها منها . وهذا هو الذى بعث فى طلاب التاريخ وعلماء الآثار الهمم لدراسة تلك العادات والمعتقدات . فأن عناصر المدنية الأولى كانت من نبات أو ككار المصريين التى أحدها عنهم العالم بالأمن ولا جزاء وبلا محسنات ادخلت عليها .

وقد جعلنا هذا الموضوع مقدمة لدراسة معدات الجبانز والمناحات التى فى قبر توت — عنخ — آمون

الكنز الدفين و القبر المكنون

لم يكن الغرض الوحيد من وضع هذا الكتاب ذكر حوايا قبر توت — عنخ — آمون وما أكنه فى جوفه من الرباش الثمين — الأعلاق النفيسة والزراى المبتوثة والتمارق المصفوفة والارائك المنصوبة والفرش المنجدة والحلل المنضدة والاولاى المرقشة والبسط المبرقشة . انه غرضنا الاسمى وهما الاكبر ذكر الفوائد الادبية والثمار الفنية التى نتج عنها من احشاء هذا القبر وان الذين رأوا أمثال تلك النفائس فى قبور (تحتمس الرابع وبوا وتوا واخنانور) تذهب قلوبهم شعاعا وأمسرتهم هواءً عند رؤية هذه الخفاف العظيمة فى قبر توت — عنخ — آمون التى بزت فى صناعتها كل صناعة وفى نسجها كل حياكة . فأن عرش الملك . مثلا أعودج بدع من الصناعة الدقيقة وكذلك العجلات والمركبات والكراسى والارائك والتمارق والزراى والرسمى والخفاف . والنسيفساء لانظير لها فى العالم وأندع من ذلك كله النعش الملكى الذى يبرهن على ما كان لهذا الملك من العز والسلطان والابهة والجلال . وان علماء الآثار الذين ملؤوا متاحف العالم من آثار

الفراغة ومخلفات المصريين القدماء خروا معجدا لما رأوا تلك المخلفات
التي حفت أقدامهم في وصفها وعجزت أناملهم عن كشف سرها .



(شكل ١٥) الناووس الذى يحتوى على حشا الملك

وأول ما يبدو لنا من تلك الكنوز الفاخرة أنها تعزى الى عنصرين
جليين هما ما كان يستعمله المتوفى في خلال حياته وما أعد له بعد وفاته .
ويمكننا ادراك هذا الفارق جليا اذا وازنا بين المركبات التى باليهو والمركبات
التي بالمقبرة ، ولم أننا مواصلة البحث في محتويات ذلك النعش الملكى العظيم
« ضيان العرش » الذى هو مثال بديع من الصناعة الدقيقة فأن التجارب

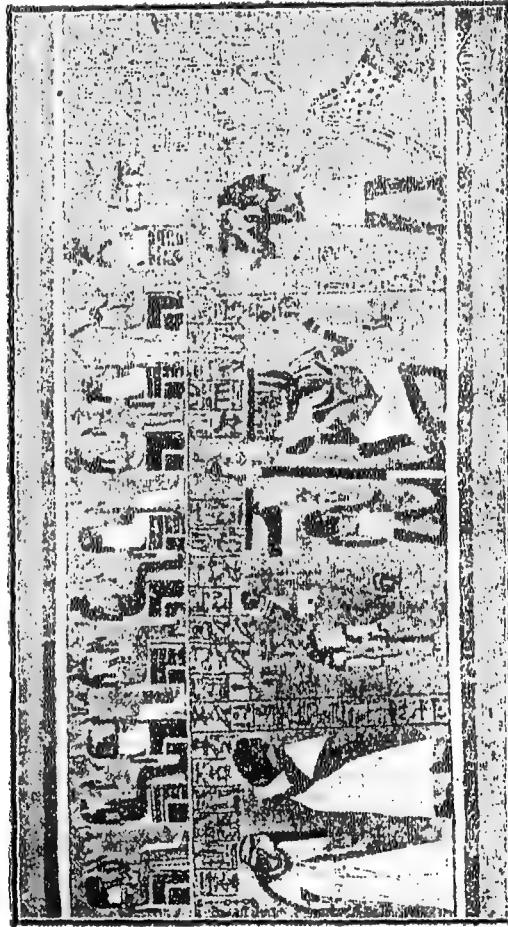
دللتنا على ان الحوايا التى وجدت فى مثل هذا الصيان فى القبور الاخرى تجعلنا نعتقد أن قلب توت - عنخ - آون لم يدفن معه فى صيانه ولم يوجد بأجزاء الصندوق الاربعة سوبى تلك الاعضاء البشرية وهى « الكبد والرئتان والمعدة والمعى » أما قلبه وكيثاه فقد ظلا فى جسمه .

واذا نظرنا الى تلك المحتويات من الوحة الفنية نجد ان من بين الاثاث والكسأ الجميلة التى وجدت فى قبر الملك المذكور الثلاث الأرائك المصنوعة صنعا دقيقةا والتى تحاكي الحيوانات الثلاثة : البقرة والاسد وفرس البحر . ومع ان هذه الارائك لم تخرج عن كونها فرعونية الاصل مصرية الرسم نجدها عادة فى الصور المصرية القديمة غير اننا لم نمثر على أمثالها فى فن الصناعة من قبل فهى خليفة اذن بالعناية التامة والدرس المستمر لانها تمثل العقيدة المصرية القديمة لسكان وادى النيل وهى التى سنذكرها فيما بعد

دار القضاء

كانت عقيدة قدماء المصريين ان الميت اذا مات تحاسب روحه حسابا دقيقا وتوزن اعماله بقسطاس حكيم فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان اوزوريس هو الحكم العدل المتربع فى كرسى القضاء يحف به اثنان واربعون قاضيا للشورى على رءوسهم سمات العدالة والانصاف وكانت توزن اعمال الانسان ويشهد عليها قلبه فن كان مقارفا للذنوب سفاكا للدماء مساورا للآثام فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا واما من كان طاهر القلب تقى الاعراق صفى الروح حاقنا للدماء فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا وكانت جنة الفردوس لديهم ارضا خصبة التربة طيبة النبت فيها ما تشتهى النفس وتلذ الاعين وفيها من كل فاكهة زوجان وفيها تزرع الحنطة التى يناهز ارتفاعها خمسة اذرع والسنبلة ذراعين وكانت الارواح تغدو وتروح فيها كما تشاء وإن

شاءت انايت عنها ثنائيل صغيرة من الحزف أو الحشب أو الفسيفساء وهذا هو السبب الذى حدا بهم الى وضع هذه لثنائيل مع الميت . وفى هذه الفردوس تتمتع الارواح بالسعادة والرفاهية والعيشة الراضية فى جنة عالية قطوفها دانية



(شكل ١٦) حكاية الكاتب الى الذى توزن اعماله بربش النعام

واليك مثالا من دار القضاء يحاكم فيها الكاتب آنى حيث يزنون قلبه بربش النعام بالمعيار الحكيم والقسط من المستقيم

العروج في السماء والرحيل الى الجنة



(شكل ١٧) البقرة المقدسة حاتور

ان النظرية القائلة بان العروج في السماء هو من بنات افكار السكمان المصريين واس العبادة الوثنية قضية مسلم بها لامرية فيها . ولقد تساءل الناس كثيرا في هذا الموضوع فقالوا - كيف يتسنى لساكن الارض ان يعرج الى الجنة في السماء العليا

وما تلك المطية المدهشة التي ينطويها حتى يصل الى العرش . ولقد اوضح هذه النظرية للمسيحيين من ابناء جلدته القسيس انج الانجليزى فقال في تقريره « انه لا ينطبق على اصول العلم الحديث وجود سماء مادية محسوسة ولكن لابد لنا من تصور ذلك اذا اردنا التسليم بهذه العقيدة » . اما قدماء المصريين

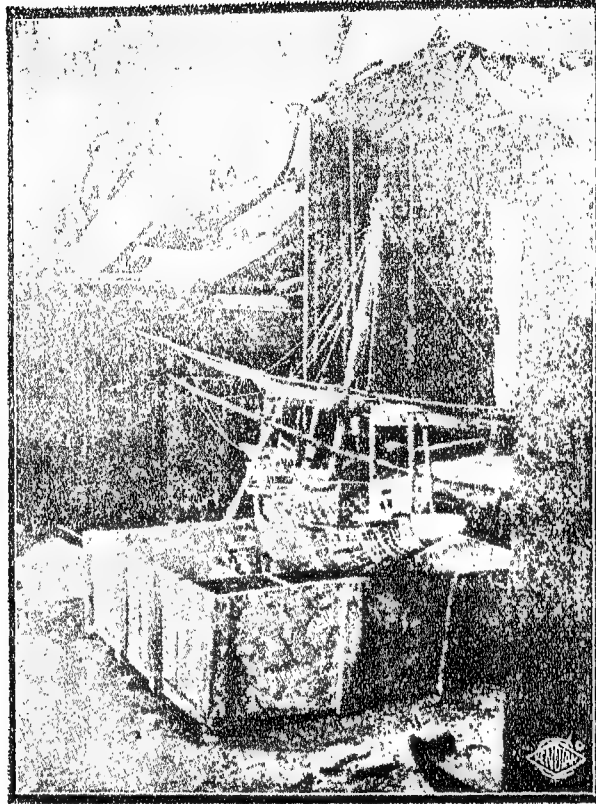
فكانت عقيدتهم في السماء المادية ركنا من اركان الديانة . كما انهم خططوا
جنه الفردوس تخطيطا واضحا الصراط المستقيم ايضا كما يوضح الكتاب
المصرى جغرافية أى اقليم . ولقد امدوا المتوفى بخريطة ليهتدى بها في
طريقه الوعر المحفوف بالخاوف والمخاطر الى جنة الخلد ومع أن قدماء
المصريين قد ابتدعوا طرائق شتى واتخذوا مطايا متعددة لايصال الميت
الى جنة الفردوس . أمنا مطمئنا فان هنالك مطية واحدة من اجمل المطايا
التي لديهم قد ضربوا فيها بسهم وحظوا منها بقسط اذ كانت لهم جنة من
الحواف وأمانا من الفناء ودرعا لا يخلود والبقاء ووسيلة الى بلوغ السموات
وهي البقرة المقدسة المسماة حاتور . ولم تكن هذه البقرة سلما الى الحياة
الازلية فحسب بل انها وسيلة للبقاء لانها تسقيهم لبنا مقدسا سائغا طهورا
وتحميهم على تبجها الى الجنة . وقد دلت الخطوط المنقوشة على قبر ستي
الأول على قصة البقرة الالهية حاتور او توت المذكورة واستخدامها كعراج
يعرج فيه الملك المتوفى الى السماء ويحظى بالآلهة ويقع في جنة عالية
قطوفها دانية .

وبعد أن تعبد اليه الربة حياته الأولى وشبابه الناضر يتحمل ثانيا اعباء
الملك وتبوء الرعية الظلوم النشوم التي ثارت في وجهه . وخرجت عليه
لكبر سنه ووهن قواه فعزم على ترك الدنيا الفانية وعرج في السماء وامتطى
صهوة البقرة المقدسة وارتقى الى الجنة حيث لبس القلنسوة الالهية وصار
علما على الشمس . وترى البقرة المقدسة التي من عملها حمل الجنة الى
نزلها السماوى مرسومة على التمثيل المصرية القديمة كما أن غرضها الاسمى
وهو سعادة الميت يمثل بطريق عدة واشكال شتى . فان هم النفاش المصرى
كان رسم البقرة الالهية (حاتور) وهي تحمى الملك او تمدد بماء الحياة
وتسقيه لبنا سائغا من ضرعها . ولقد افرد (السير جاستون ماسبيرو) بابا
خاصا لهذا الموضوع مزينا بستة اشكال للبقرة من بدء عهد امنحتب
الثانى (عام ١٤٤٠ ق م الى ما بعد الف سنة) ولكننا نعرف أن مهمة

البقرة حاتور كانت ممثلة في أشكال أخرى من عهد بناء الأهرام مثلاً تراها ممثلة على اللوح الذى وجدته الأستاذ ريزنر فى معبد هرم (منقريوس) من أعمال الأسرة الرابعة (حوالى عام ٢٨٠٠ ق م) كما عثر الباحثون على لوح الملك (نارمر) الذى يمت الى الأسرة الأولى (حوالى عام ٣٤٠٠ ق م) وترى هذا اللوح تذكرا تاريخيا مجيدا ذا أهمية عظمى اذ تجسد منقوشا عليه اقدم انواع الكتابة الهيروغليفية فى تاريخ العالم . كما أنه من الأهمية بمكان لملاقته بهذا الموضوع لانك تجد على اركان اللوح العليا (حاتور) مرسومة ومما يدل على حمايتها للملك أن نجد الملك لابسا منطقة عليها رؤوس أربع بقرات عجاف بدل الحجاب المصنوع من الودع الذى كانت تلبسه السذج من الناس فى العصور الاولى .

وكانت هذه البقرة السماوية ربة الميث لانها تكسب الحياة وتطيل العمر بعد الوفاة كما أنها صارت علما على الاله لانها هى الوسيلة الوحيدة لا بل اغ الميث الى السموات العلى حيث يقيم إله الشمس .

وان من أجل الخلفات الاثرية الجميلة التى وجدت فى بهو مقبرة توت - عنخ - آمون تلك الثلاث الأرتك البديعة . فالأولى تمثل البقرة السماوية حاتور والثانية تمثل تلك الربة عينا فى شكل لؤء أو ربما كانت تمثل ابنها هوراس على شكل أسد والثالثة تمثل تويرت أو ربة فرس البحر التى كانت القابلة (المولدة) الالهية ومن بين الاقاويل الكثيرة عن هذه الالهة العظيمة لم نثر على قول منها يعزز أهميتها أو عملها ولو أننا لم نجد مثيلا لتلك الخلفات الاثرية الهائلة التى هى من شعار المناجات . اللهم الا ما عثرنا عليه من رسم صورها على حياط المقابر فى مصر واثيوبيا وما تصفحناه فى كتاب الموتى من الصور المنقوشة على البردى كما ان الفصول المكتوبة فى كتاب الموتى الخاصة « بارتقاء النعش » لا نجعلنا فى ريب من أهمية تلك الارائك المنصوبة .



(شكل ١٨) السفينة الملكية لسفر الملك بعد الموت

ومما يدهش الابصار ويستوقف الانظار ان نرى النقاشين في عهدتوت -
 عنخ - آمون قد استفرغوا جهدهم واستنفدوا وسعهم في تمثيل هذه الربة
 حاتور على الارائك إذ كان العامل الاسمي والوازع الاقوى في تصوير
 هذه البقرة المقدسة تقاينهم في العقائد الدينيه والعجائبهم بالشعائر القومية التي
 ضحوا من احليها بكل يمين ومرئخص فلا مشاحة أن العامل في هذه الحالة
 قد نسي أو تناسى آلام النصب لمحيته للدين وغلوه في اليقين فهجرت كل

ما يملك من زخرف الدنيا « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وانكب على صنع تمثال ديني لا يرجو من ورائه جزاءً ولا شكورا ولا يحكى نفقه السبب الذى من أجله صار لتلك البقرة المقدسة النصيب الاوفى والقدح المعلى فى حلبة الدواجن من الحيوان يحمل بنا أن نرجع البصر ككرة فى الالهة والمعدات التى نصبت للقبور وهيئت للاضرحة . وناهيك بما بذلوا فى تحنيط الجثة والعناية الكبرى بحفظها وإجابة سؤالها وسد عوزها كل ذلك لاعتقادهم أن بقاء الميت كان متوقفا على الميرة والذخيرة التى دفنت معه ودواعى الترف التى رافقته . ولكى يتحققوا ذلك لم يألوا جهداً فى الوصول الى تلك الغاية فتمشوا النقوش وخططوا الخطوط وسطروا الاساطير وكتبوا الآيات المقدسة على الاكفان والاضرحة والنواويس وأوراق البردى لكي يوقوا بمناجاة أوزوريس للميت حتى يساهمه السعادة ويشاطره الغبطة والرفاهة . ولذلك عمدوا الى تمثيل أوزوريس كما بينا من قبل بالشمير المقدس الذى كانت الحبة منه فى عرفهم مثلاً أعلى للأُم الالهية المقدسة التى تحيي الموتى فى عقيدتهم وتسمع الصم وتكلم البكم وتشفى العمى وبذلك وضعوا قدراً كافياً من هذا النبات او مادة الحياة مع الموتى . وكانوا من وقت لآخر يولون الولائم ويقىمون الشعائر فى القبور أو المعابد المصاحبة لها فى طيبة وغيرها لاجلاء الميت وشدا زره على البقاء فاذا ما أيقن قدماء المصريين أن فى استطاعتهم نجاة أنفسهم وحفظ حياتهم وتحققوا بلوغ السموات بالمعوذات والتمايم لم يدخروا وسعا فى متابعة تلك الاعمال بكل ما أوتوا من حول وقوة وعزيمة ماضية لا يعتمورها الكلال وهمة عالية لا يساورها الملل . وقد اعتقدوا بادئ ذى بدء أن الأُم الالهية لم تكن الا طليسا او نيمية ممثلة فى قوقعه أو فى حبة شمير (كما يعتقد بعض الطغام ضعاف الاحلام اليوم فيعلمون القوافع والدودع فى فحور الصبايا والصبيان التى فى اعتقادهم تمنح الحياة والسعادة البشرية لبني الانسان)

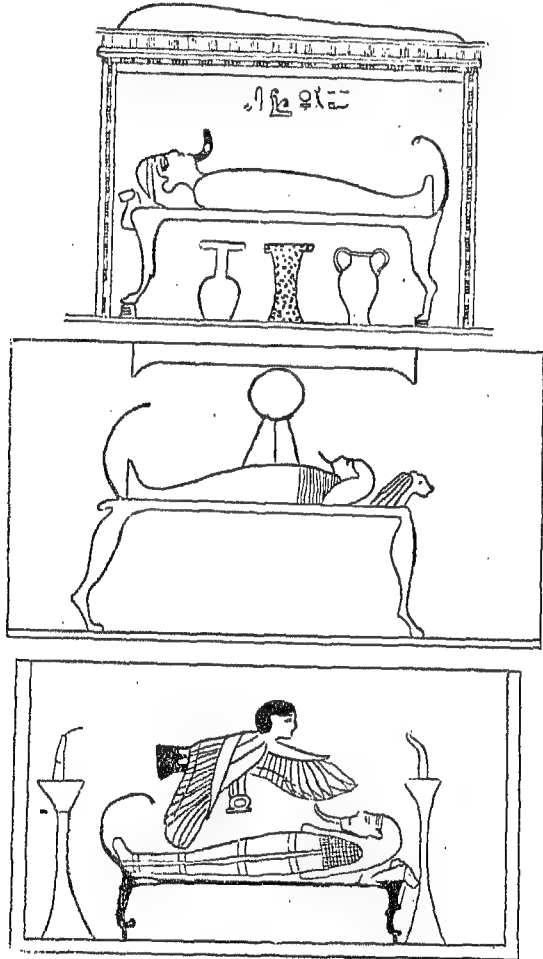
واذا المنية أنشبت أظفارها التيت كل تيممة لا تنفع

ولما أن استؤنست الحيوانات وفطن الانسان الى أن لبن البقرة يغذى
 الرواضع من الاطفال أوحى اليهم أن البقرة من عشيرة الانسان ووليجته
 تأسى لحزنه وتغبط بسروره فتشاركه في الافراح وتشاطره الاتراح
 وتصافيه في السر والجهر وتصاحبه في الحياة وفي الممات كأم رءووم ترضعه لبنا
 سائغا فيه شفاء لدايس فاطموا عليها الأم الالهية حاتور التي ظلت البقرة
 رمزاً لها ردحا كبيرا من الزمان (منذ ستين قرنا خلت من وقتنا هذا)
 ولأن تلك الأم الالهية الكبرى قد تطورت وفاقا لتطور العادات
 وتقدم البدع وتمثلت أولا في الفوقمة ثم في حبة الشعير ثم في البقرة قد مثلها
 قدماء المصريين كذلك بالقمر الذي اعتقدوا أنه يهب الحياة والقوة للنساء
 ومن ثم اعتقدوا أنه ما دام الههم محيي الموتى ومانح الازلية ممثلا في
 القمر والبقرة صار من السهل حمل الميت الى السموات العلا حتى قالوا في
 آياتهم الوثنية « ان البقرة وثبت على القمر » ومما يدل على ان البقرة
 مصورة على الاريكة التي تمثل السماء وجود النجوم في الجهة السفلى منها
 كما ان ارتفاع الاريكة أيضا يدل على علو السماء وفي كل عصور التاريخ
 المصرى القديم ترى النقاشين والكتّاب قد أشرخوا في قلوبهم حب تصوير الملك
 المتوفى في رحيله على متن البقرة الى السماء وهذه العقيدة ممثلة ومصورة على
 النعش الذي يحيط بقبر سيقى الأول المشار اليه من قبل

ولقد جرت العادة في العصور الاخيرة من تاريخ قدماء المصريين ان
 يمثلوا البقرة الالهية (او لبؤتها التي تنوب عنها) حاملة الميت او تمثاله الى
 السماء ولهذا السبب تجد صورا ممثلة لتلك الشماثر مرسومة على الارائك التي
 تحمل الرفات الى السماء كما رأينا ذلك في قبر توب - عنخ - آمون وان
 الغرض من وضع الارائك على صورة الابقار او السباع هو الوصول
 بالوسائل السحرية الى رفع الميت الى السماء .

وان قصة « هلاك البشر » التي ذكرناها آنفاً تشف عن هذه الشماثر .
 وان أثر هذه العقيدة وهو تمثيل « المركبة الحيوانية الربانية » قد فشا في

سائر أنحاء المعمورة في العصر التاريخي الأولى لأنه إذا استطاع ذلك الحيوان
الاعجم أن ينقل المتوفى إلى السماء ويسبغ عليه نعمة الخلود التي كانت من



(شكل ١٩) ثلاث أرائك أسدية تحمل المتوفى إلى الدار الآخرة
وعليهما سمات إله الشمس والآخر منها على شكل طائر
ينفث في الميت روح الخلود

صفات الآلهة صار رمزاً اذن للآلهة وسمية من سماتها التى مازتها عن البشر. وان تمثيل الام الالهية بالبقرة كان مبدءاً نظام اجتماعى كبير سمي بالنظام اللاهوتى كما ان تمثيل تلك الام عينها باللبؤة صار كذلك سمى على الاله كما نرى ذلك فى قبر سبتى الأول ولما دُعيت الربى المذكورة لانعاش الملك المسن لم تجد بين عفاقيرها سوى دم البشر وبذلك اضطرب الى ذبح الانسان وصار عملها هذا ممثلاً فى اللبؤة هذا ولأن اللبؤة صارت المثل الأعلى للآلهة ذات القوة والبطش والمقدرة على حفظ الميت من المخاوف التى تعترضه أثناء رحيله من الدار القانية الى الدار الباقية صارت بذلك ممثلاً أسمي لمركبة الموتى وفضلت على البقرة . وفى كل الحالات ترى فى صور أرائك الموتى اللبؤة أكثر تمثيلاً من البقرة . ولم يزل الديث فى العصور الحديثة عنوان البطش والوصول . ولرما وجدنا فى تمثيل الاسد بالقوة مغزى آخر . كما نرى ذلك فى النسيج الموشى الذى وجد فى قبر الملك توت - عنخ - آمون اذ نجد الملك المذكور ممثلاً فى شكل هزبر رأسه رأس انسان وهو يبطأ بقدميه أعداءه الذين اذل رقابهم وأباد خضراءهم . وكذلك ترى هذا الرسم ممثلاً فى قبور آلافه مثل نحتهمس الرابع : ولم يزل هذه العقيدة وهى تمثيل الملك بالأسد متصلة فى العصور القديمة منذ الاسرة الرابعة حيث ترى أبا الهول ممثلاً عظيمًا لذلك . ويزعّم بعض المؤرخين أنه يمثل الملك منقرع (٢٨٠٠ ق . م) ولكن هذا الزعم يحتاج الى اثبات والمعروف عن هذا الاثر الخالد انه رمز للقوة العقلية والجممانية ولا يعلم صانعه أو الغرض الذى وضع لأجله وقد أوضحنا ذلك فى كتاب آخر « العجالة الوجيزة فى أهرام الجيزة » فعلى القارئ تصفحه وإن تمثيل الملك هذا بالأسد الذى ينطق على هوراس له صلة ببحوث أخرى وعقائد راسخة ولو انه فى زمن الملك توت عنخ آمون بل فى تاريخ مصر كله زمن الامرات القديمة كان إله الشمس معدوداً ذا سلطان عظيم على سائر أنحاء الدولة المصرية فأن هوراس نفسه كان علماً

على هذا الآله وان الميزة التي كانت له كحام الموتى كانت متأصلة في العقائد
الاوزورية (نسبة الى اوزوريس) القديمة ولقد كان الملك هوراس
الحى القيوم هو الفرد الاحد الذى كان مسؤولاً عن رعاية الملك المتوفى
(اوزوريس) ولقد كانت العقيدة السائدة وقتئذ في دوام حياة الآله
الملك المتوفى (اوزوريس) مبنية على الصلوات التي يقيمها هوراس وعلى
ذلك يكون هوراس هو مسبق نعمة الخلود والابدية على اوزوريس
وكذلك كان يستغيا على الملك توت - عنخ - آمون الذى كان ممثلاً في
اوزوريس وبذلك كانت العقيدة في حمل الملك على الاربكة الاسدية تدل
على تسليمه ليدى هوراس

كل ابن أنثى وان طالت اقامته يوماً على آله حذاء محمول

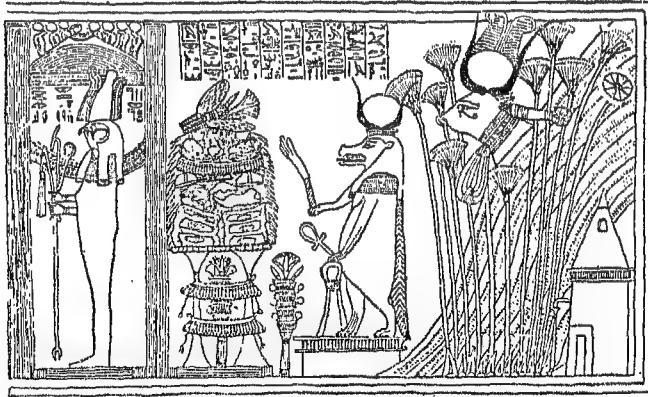
ولم يكن هوراس هذا الممثل على القُرش التي في قبر توت - عنخ آمون
هو الذى يمثل الملك وهو يظاً باقدامه أعداءه ولكنه كان الممثل في ابن
اوزوريس الذى بيده المن والعطاء وهو الذى يمنح الملك المتوفى النعم التي
يستحقها جزاء ما منح اوزوريس الحياة الأبدية والخلود والنجاة

وان الخلاف بين هذين النوعين لهوراس ظاهر في صورة جليلة
كشفتها حديثاً الاستاذ جورج - ا - ويزنر (وهي التي مثلتها جريدة لندن
المصورة في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ صفحة ٢٠٤) وكانت منقوشة على تمثال
في السودان أقيم بعد موت الملك توت - عنخ - آمون بعدة قرون

ونرى في تلك الصورة الاربكة الأسديه ممثلة وهي حاملة النمش للملك
ارجاميز الذي تجدد رأسه على شكل نسر لهوراس وفوق النعش تجدد السماء
ذات البروج ونحتها قرص الشمس يخرج منه الحاسة الأشعة التي تبث الحياة
الميت وفي أحد أبواب كتاب الموتى هذه العبارة « وبذلك يتولد الانسان
شكل النسر المقدس » ونرى الميت محمولا وهو يقول « انى أظهر الآن بمظهر
النسر المقدس الذى بنفت فيه هوراس روحه لتستمد ذريته روحها من اوزوريس »

ولربما كان الغرض الاساسى من ذلك هو أن الاريكة الاسديـه كانت رمزاً على الاريكة البقرية وكان الغرض منها بلا مشاحة رفع الميت الى السماء ليتحد مع الشمس ويندج في إله الشمس رع فاذا كان الامر كذلك كانت الاشعة الخمسة (التى هى على شكل خمسة V من الحروف الرومانية) المنبعثة من قرص الشمس تدل على أن الشمس كانت تجذب بقوتها نحو السماء رفات الميت الممثل فى هوراس

ولقد أوضح الدكتور الن جاردنر فى رسالته عن قبر امينحـتـب صورة منظمة تشتمل على آيات هـبرـوغـليفـه مقدسة مرسومة فى شكل النجوم فوق النعش الميت المحمول على الاريكة الاسديـه وترجمها بأنها تعبر عن غاية الميت فى العروج إلى السماء والاقامة بين هاتيك النجوم والاقار وترى أمثال هذه الصور واضحة فى كتاب الموتى إذ ترى النعش مصورا على شكل أسد بينما ترى أشكال البقرة المقدسة وفرس البحر قليلة الوجود وترى عادة فى صور المناحات والجنازات الرفات محمولا على الاريكة الاسديـه الموضوعه داخل النعش كما ترى ذلك فى الصورة الاولى المأخوذة من كتاب الموتى ولقد ترى



(شكل ٢٠)

مناحات الأوهية الثلاث : البقرة وفرس البحر وهوراس

أمثلة ذات قيمة كهذه في كتاب الدكتور الن جاردنر الآنف الذكر وكتاب السيد جارين دافيز في قبر امنتحتب المطبوع عام سنة ١٩١٥ م في الشكل الثاني عشر والشكل الرابع والعشرين التابع لتحتمس الثالث الذي ولى العرش قبل توت - عنخ - آمون بقرن ولا مرأى في أن ذلك يرجع بعضه إلى الالهية التاريخية لهوراس الذي كان حاميا لأوزوريس وأيضا لالهية الاله المذكور في نصرتة على أعادى رع حيث كان أعظم حام يذود عن الموتى

ولكن في تمثيل الاسد على هذا النحو فكرتين أساسيتين وراهما معنى كبير ومعزى عظيم ففي فكرة هلاك البشر القديمة التي أشرنا إليها سابقا وهي التي في قبور خلفاء توت عنخ آمون نجد أن الربة حاتور « البقرة السماوية » ممثلة وهي تضحي ببني الانسان لكي تحصل على الدم الذي بعيد شباب الملك المسن وذلك في حكاية « رع الذي يمثل الملك الارضى الذي لم يرج إلى السماء على ظهر البقرة حتى يصير مع إله الشمس » ومن ثم اشتهرت البقرة بهذه الشهرة وهي أنها ذابحة الجسد البشرى فتمثلت بلبؤة وتسميت باسم « سمخت » ومنهاها المهلكة أو المبيده . وبذلك تمثلت الربة الالهية العظيمة حاتور في شخص البقرة واللبؤة . ولكن في تطور فكرة الربة في هلاك البشر ترى أن الاله هوراس يقوم مقام أمه حاتور كما يقوم العجل والاسد مقام البقرة واللبؤة . وفي فكرة الاريكة المناحية أو أريكة الجنائز ترى البقرة حاتور بجانب أسد هوراس . واقد نجد الانسان أحيانا في مقابر العصور المتأخرة الرفات ممثلا وهو محمول على عجل بدل البقرة وهو صاعد إلى السموات الملى وترى مثلا عظيما لهذا في دار العاديات بادنبرج عاصمة اسكتلندة

وان الاريكة الثامنة هي التي على شكل فرس البحر البديع المسماة تويرت وهي المثال الآخر لحاتور . ولكن عملها قاصر على أن تكون مولدة للالهة والملوك وتراها في الصور ممثلة عادة مع البقرة الالهية حاتور

على باب القبر وربما كان عملها أن ترأس حفلة احياء الملك المتوفى التي فيها يسبغ على الملك حياة أخرى سعيدة فإذا كنا نعد أريكة فرس البحر ممثلة في حفلة احياء الملك فلا يعزب عن افكارنا ذلك الفناء العظيم الذى بالدير البحرى حيث ترى فيه الارائك الاسدية ممثلة في ميلاد الملكة حتشبسوت وذلك ينطبق على ما يذاه في تمثيل الحيوانات الثلاثة وهى البقرة واللبؤة وفرس البحر بالرقة حاتور وان العادة المصرية في جعل تلك المركبات الحيوانية الثلاثة تمثل انتقال الميت الى السموات العلى ومنحه السعادة الابدية والخلود مازالت تدهش الافئدة وتذهل الاباب في سائر العالم العامر وسنذكر ثلاثة أمثلة لهذا الاثر الخالد

لقد كانت العقيدة في تمثيل الميت وهو ممتط الاريقة الحيوانية هى صيرورته إلها ومن ثم انتشرت هذه العقيدة في الشام والعراق واليونان والهند وفي سائر انحاء العالم التي وجدت فيها هذه المدنية مرعى خصبا وكففا سهلا اذ نجد تلك الآلهة والربات ممثلة على الارائك الحيوانية مثل العجل والبقرة والاسد واللبؤة او ما شاكلها من الحيوانات الاخرى الهائلة . كما أن عقيدة المركبات الالهية التي لعبت دورا عظيما في تاريخ الهندوآسيا الشرقية وامريكا الوسطى هى عقيدة مصرية بحته اذ تراها ممثلة في ارائك الموتى التي في قبر توت - عنخ - آمون وهى لا تقل عن النماذج التي في آسيا وامريكا

الفكرة الثانية لهذه الارائك هى العقيدة بأن وضع الجثة او الرفات في منصة مرتفعة ذو تأثير سحرى في نقل الميت الى السماء فلا مشاحة اذن أن مقاعد القبر المرتفعة كالتي في قبر توت - عنخ - آمون مطابقة لهذه العقيدة . الفكرة الثالثة التي نشأت من هذه العقيدة هى انتشار صناعة الاثاث والرياش في اوروبا حتى اصبحت تحاكي الصناعات المصرية القديمة من حيث تمثيل الارائك والسكرامى والتمارق والزراى بالاشكال المصرية املا

في مصر فقد بدأت هذه الصناعة من عهد ٣٤٠٠ سنة قبل الميلاد - ومن ثم يتضح لنا أن هذه الاراتك قد أماطت اللثام عن سلسلة من الرموز كل له شكل خاص حتى يتعذر على الانسان فحصها وتحيصها ليردها الى مصدرها الاصلى ومنحها التاريخى ولا يسعنا الا ان نقول انها تمثلت فى الالة الاشكال المذكورة آنفا وبعتت على أحياء صناعات جليلة وفنون جميلة « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا »

وادی الملوك



(شكل ٢١) وادی الملوك

لقد كان عام ١٥٠٠ ق م هو العام الذى اصطفى فيه الملك تحتمس الاول ذلك الاخدود الجليل والوادى العظيم ليكون مثوى له ولاحقاً به بعد وفاته فإن سلفه امنحتب الاول قد ادرك الغرض من بناء المعبد مصاقباً للضريح لان المعبد لم يكن سوى بهو وسيح مكمل للحجرات التى بداخل المقبرة ليقام فيه آل الميت وعترته يقربون له قربان ويضعون فيه بالاً صاحي ويطعمون الطعام على حب ساكنه ويشربون فيه نخب الميت لقاء حياته ودوام جثمانه . وفى ذلك الصرح الجليل الذى كان يقام بجوار القبر كانت تولم الولاة وتؤدب المآدب من آل لآحر لانعاش الميت (أو امة ش مثاله) حتى يستمتع بالطعام والشراب وبشارك أهله وعشيرته فى ما دهم ويساهمهم ولائمهم ولاذهم . ولكن الغرض الاسمى لاقامة هذه الشاثر هو منح الميت الحياة وغمره بنعمة الحياة الدنيا (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وبذلك يتحققون بقاءه حياً دائماً أبداً لا يموت ولا ينفى

وعلى مر الدهور وكر المصور تقدمت هذه الشعائر التى كانت تقام لاجلاء الموفى حتى تحولت حجرة الصحيا معبداً رفيع البند «ذخ الدنيان كما تطور الغرض المقصود من احياء هذه الشعائر لانه بدل أن كانت الغاية منها أمداد الميت بالطعام والشراب واكسیر الحياه صارت جزءاً لا يتجزأ من الشعائر الدينية والمادة الوثنية .

والا تم لهم ذلك اتسعت مسافة الخلف بين المعبد والقبر ولم تعد الصلة بينهما قوية كما كانت من قبل اذ كان العريض من أ. لها احياء الميت او ما عائلته من لثمائل . ولقد لبثت الحياه على ذلك حتى نهاية القرن السادس ع.س. قبل الميلاد (اذ قيل ان تحتمس مات عام ١٥٠١ ق م) مد طفق الملك بعمل على اقامة قبر له بهير جداً عن معبده . وان انفصال المعبد هذا عن القبر كان ذا تأثير عظيم فى ماهية الاول اذ مهد الطريق للمفكرة المستحدثة فى اقامة دار للمادة . ولم نزل هذه العقيدة القدعة منتشرة فى أوروبا وهى الصلة بين الكنييسة وفنائها المجازر لها او المقبرة وكذلك فى الشرق اذ تجد كثيراً

[illegible]

(شكل ٢٢) مقابر الملوك وبها قبر الملك توت - عنخ - آمون

كهفاً في الجبال التي على مسيرة سبعة أميال شرقي مدينته الحديثة وقد بنى أخناتون وسطاً بين طيبة ومنفيس حاضرتي الوجه القبلي والبحري وهناك نوى هذا الملك في ضريحه المنحوت من الحجر الصوانى الصلد الذى لعبت به يد البلى وعمدت به صروف الدهر تخلفته هشيماً على وجه الأرض ولكن زوج ابنته توت - عنخ - آمون رأى عند رجوعه الى الديانة القديمة بطيبة ان ينقل جثة والد زوجته من « مدينة الافق » المذكورة آنفاً الى جبان طيبة حيث أقام له هذا الاثر الخالد فى وادى الملوك الذى كشفه عام ١٩٠٧ المستر آرثر ويجول الذى كان مفتشاً للآثار المصرية بالوجه القبلي وكان قائماً بأعمال الحفر التى كانت تحت أمره المستر ثيودور دافيز كما يينا .

أما جثمان سمنخارا خلف أخناتون فلم يظهر له أثر وأعقب سمنخارا توت - عنخ - آمون . ولقد أثبت المستر هوارد كارتر فى كشفه الحديث أن هذا الملك الاخير قد نزع الى الديانة القديمة ولائبات ذلك أقام قبره فى الوادى الشرقى حول عبّاد آمون اما خلقه آى فقد أقام له ضريحاً فى الوادى الغربى لاسباب مجهولة . وهناك نوى توت عنخ آمون فى ضريحه فى كف الملك أمنحتب الثالث الذى كان آى المذكور وزيراً له طول حياته وقيل أن هذا الملك « أمنحتب » كان أباً او مريضاً لنيفرتيتى زوجة أخناتون .

وحتى كشف قبر توت عنخ آمون بالوادى الشرقى كان السير جستون مسبيرو الأثرى العظيم يعتقد هو واشياعه أن قبر الملك المذكور بالوادى الغربى وحتى هذا العصر الذى كشف فيه قبر الملك المذكور كان قبر آى أقدم قبر ملكى كشف فى العصور الحديثة بعد أمنحتب الثالث . ولأن تلك القبور كانت دفينة فى الوادى الغربى ظن المؤرخون أن قبر توت عنخ آمون سلف آى لابد أن يكون دفينا فى ذاك الوادى أيضاً ولكن اتضح أن هذا الملك لما أقام القبر الثانى لأخناتون فى الوادى

الذى جرى به من هرم منقريوس والذي زعموا أنه هيكل ذلك الفرعون المشهور .

أما الكشف الذى ظهر فى عام ١٨٨١ م والنقيب الذى تم فى وادى الملوك فى العشر سنوات التى خلت من ١٨٩٨ الى ١٩٠٨ م. هما اللذان أَمَاطَا اللثام عن الجُثث الحقيقية التابعة للأسرة الملكية ولو أنه قد عثر البعثات دى مرجان على هياكل أقدم عهداً من هذه الأسرة الملكية فى أهرام دهشور وذلك منذ ثلاثين سنة خلت من وقتنا هذا . وقبل كشف هذه الجُثث المحسطة لهؤلاء الفراعنة بزمان مديد قد مثلت لنا تماثيلهم ودمامهم أشبه كلهم أمام أعيننا كما مثلت لنا رسومهم وخطوطهم على تلك التماثيل أعماهم وما أثرهم أما القبور المنبوشة التى للأسرة الثامنة عشرة فقد كشفت وأُمِّها الزائرون من عهد اليونان ومن تبعهم من الدول الأخرى التى أغارت على مصر وفوق ذلك نجد أنه قبل كشف هذه الجُثث بعشرين سنة قد عرض نجار المعاديات والتحف عدة أوراق من البردى تؤيد أنها كحرمة تلك القبور الطيبة العظيمة

الثورة الدينية فى عهد اخناتون

لم يكن ثمة أمة فى الوجود فى عوز الى حاكم قدير وولى بصير عند وفاة الملك امنحتب الثالث كالامة المصرية وقد اتفق أن كانت محكومة فى تلك المحنة الشديدة بشباب ذى مطامع خيالية ولقد كان على الرغم من مطامعه الخيالية غير كفى لهذا المنصب الخطير الذى يتطلب حاكماً قوى الشكيمة وجندياً عالى الهمه فان النزاع القائم وقتئذ بين الافكار المتشعبة والبدع الموروثة قد خالفه له ابوه بعد وفاته وكان همه الاكبر توحيد تلك الشعب المتباينة والافكار المتشعبة فى مبدأ واحد ومنهاج مستقر وفى الوقت عينه كان واجبه يقضى عليه بالمحافظة على التقاليد القديمة خشية أن يهوى فى هاوية كبيرة أو مصيبه

الشرقى أنشأ قبرا لنفسه فى هذا الوادى نفسه و ذلك انتحل السنة القديمة التى سار عليها خلفاؤه نحو قرن ونصف قرن خلا خلفه آى وأن هذا الاخدود الصخرى العظم يسمى بأبواب الملوك من قديم الزمان وقد اهتدى السياح الى هذا القيع الملوكى العظم من قديم كما ارتاع اليونان والرومان من قبل عند رؤية هذا الخانق أو الاخدود الملوكى العظيم وقد ذكر استرابون بأنه رأى أربعين قبرا من هذه القبور ولكن لم يعلم من تاريخها أكان قد اهتدى الى قبور الوادى الغربى ومقابر الملكات أم لا .

وقد احتفل السائح بلزوى بفتح قبر سيتى الاول فى التنقيب الحديث الذى قام به عام ١٨١٩ م ووصف الصور التى بالحيطان قبل أن تنابها يد البلى وتعبث بها صروف الحداث وهو الذى أرسل الى لندن الناووس المرمى البديع الذى كان لهذا الملك والذى وضع الآن فى متحف السيرجون سون فى « لنسكن ان فيلدس » بالمجلته

وان عام ١٨٨١ م هو ذلك العام المشهور بكشف الجثث الملكية وبعد مضى خمس سنوات من هذا التاريخ أى لما أزيل الغشاء الذى على تلك الجثث مثل جثة سيتى الاول ورمسيس الثانى فتن الناس فتون السكف الهيمان بهؤلاء الفراعنة الشداد الذين عاشوا فى العصر الجوالى ورن صدام فى الخافقين وذاع صيتهم فى السماكين منذ ثلاثين الف سنة خلت - وقد دون كشف هذه القبور الملكية فى مواقيت متعددة ولكن على أى حال اختلف المؤرخون فى تبعية تلك القبور لهؤلاء الملوك اذ ظهر أن بعضها قبور منشأة لاناس مجهولين نابعين امصور متأخرة عن العصور التى عاش فيها أولئك الملوك المصريون . وترى أنملة لهذا الريب فى الجبهه المنطة التابعة للاسرة الثامنة عشرة الموجودة بدار العاديات المصرية التى عمر عليها الباحثون فى هرم سقاره وقد زعموا أنها جثة ابن الملك پبى احد امراء الأسرة السادسة . وكذلك الهيكل العظمى الذى بدار العاديات البريطانية



(شكل ٢٣) اخناتون

جلیلة تلك هی المسألة السیاسیة العویصة الی بدہ بها اخناتون وقت اعتلائه عرش المملكة . وكانت أمہ تی وزوجتہ نیفرتیتی الی ربما كانت من أصل آسیوی والیفہ القسیس آی زوج مرضعته هی حاشیتہ وولیعته الادنون . وكان الایقان الاولان لهما نصیبان کیران فی الحکم معه وكان کعادة والده أو أشد یظهر بن الملأ من شعبه مع زوجتہ ووالدتہ وكانت هاتان السیدتان الضعیفتان رکنیه اللذین الیہما یرکن وعمادیہ اللذین علیہما یعتمد وعضویہ اللتین علیہما یتکیء فی بدوہ وحضرہ وحلہ وترحاله وسرہ وعلانیته وسرائه

وضرائه وقد افضت صحبته لها والهام بهما أنه لم يقو على جمع شمله ولم
شعته في (نحاريم) بل أنه قصر همه وجعل نصبه قاصراً على الفلسفة الدينية
التي ورثها عن الكهنة وآثرها على أملاكه الاسيويه وبهذه التقاليد الدينية
والبعد الفلسفي أمكنه أن يبتدع آراءً جديدة صيرته أشهر الفراعنه وأول
رسول في الجاهلية الأولى .

ولم يكن نفوذ الحاكم المصري وقتئذ قاصراً على رفع الحياة العملية أو
العادات القومية والاخلاق الاجتماعية أو زرقية الصناعات الفنية فحسب بل
لغدى ذلك الى أفكار القوم وآرائهم الفلسفية حتى أنه قبل الفتوحات الاسيويه
قد عنيت المساواة بتفسير كنهه الالهة وقد بلغت بذلك مصر درجة لم يبلغها
غير اليونان من حيث ادخال الفلسفة الالهية وأضحى تفسير كنهه الالهة بترهات
وأقاصيص خيالية أمرها مشاعاً من ذلك أن صار (بتاح) علماً على مبدع منفيس
وقد كان من عهد بعيد إله البناء والصانع الذي كان يمدحها بالافكار ويوحى
اليها بآرائه في الصناعات والفنون ولقد كان هذا الملك يعبد (بتاح) ويذكره
بالغدو والآصال والعشى والابكار لانه كان مشغوقاً بالترهات ولوعاً
بالخزعبلات فالتسعت بذلك مداركه الدينية وآراؤه الفلسفية وأخذ ينظر إلى
العالم نظر المبصر الدقيق

وان المصانع التي أقيمت لمعبد منفيس والتي كانت تحت إمرة (بتاح) رب
المدينة وسيدها قد صنع فيها التماثيل الجميلة ومعدات العبادة والأضاحي
الجميلة لذلك المعبد الرائع حتى أصبحت تلك المدينة كأنما هي العالم بأمره
وكان (بتاح) رب هذا البيت وسيده وكما أنه كان يهيء للعامل نماذج ويمده
بآرائه كذلك كان يوحى إلى العمال بعملهم ويثبت فيهم روحه فبذلك صار
علماً على العقل الاسمي الذي تستمد منه الكائنات الحية عقولها وغرائزها
حتى أنه في ذاك العهد لم يكن ثمة شغل للعالم سوى تمثيل الرجال والآلهة .
وكانت أفكار اختاتون كما كانت آراؤه في فني البناء والصناعات لا تحتاج
إلا الى ابرازها من عالم الخيال الى عالم الحقيقة والتدوين

وقد انتشرت أئمال تلك العقائد في سائر أنحاء المملكة المصرية ولكن كان عمل الاله في زعمهم قاصراً على حدود المملكة الفرعونية ومنذ الأجيال البائدة والأزمنة الواعلة في القدم كان فرعون هذا وارث الالهة فحكم الوجهين القبلى والبحرى اللذين كانا يحكماها الالهة المصرية وبذلك لم يتعد سلطانه الحدود المصرية . ولكن في عهد الامبراطورية المصرية قد تغيرت الحال فصار الاله ينشر نفوذه كلما سار سبب الفرعون وكان امتداد نفوذ الفرعون في الشام والنوبة دليلاً على بسط سلطان الاله ونشر نفوذه في تلك الاصقاع وبذلك صار الملك والقسيس صنوين متصافيين ولألفين متآلفين وأصبح العالم رهن لإشارتهما ونحت امرتهما --

وان النظرية الالهية المفروضة في الحكومات وقتئذ هي أن الملك يملك العالم ليسلمه الى الاله لذلك كان الملك أو الفرعون يعبد الاله ويسبح بحمده في العدو والاصال والشى والابكار ويسأله النصر العزيز والفتح المين . ولا مشاحة في أن فكرة اله العالمين في العالم قد تولدت من مصر حينما كان الملك يجبي الضرائب والأتاوات من سائر أنحاء الدنيا القديمة في ذاك العهد ومن ثم تجلت قوة الفرعون الالهية لان العقيدة المنتشرة وقتئذ هي أن الالهة عدت ملوكا وحكاما على سائر وادى النيل وبما كان كل اله يلقب بأله الولاية التي يحكمها وعلى الاخص آمون فان الالهة المصرية لم تلقب آلهة لسائر أنحاء الدولة المصرية . ولم يستثن من هذه القاعدة سوى كهنوت هلبو وايس الذى كسب الشرف الاسمى والصيت الاعلى لألهه رع المبعجل اله الشمس الذى اشتهر في سائر أنحاء المملكة .

وقد كان في عهد أمنحتب الثالث عَلم قديم على الشمس يسمى آتون الذى أصبح علماً على إله الشمس وصار إله الشمس هذا الاله الوحيد في عهد أمنحتب المذكور ومعاصريه وفي عهد أمنحتب الرابع صار هذا الاله الاله الاكبر وصار يعبد في جميع أنحاء المملكة اذ كان هذا الملك أول من عبده . والناس على دين ملوكهم . ولم يكن هذا الاله هو اله الشمس في

عهدده فحسب بل صار علما على الاله الاعظم الذى امتاز عن إله الشمس المادى وقد أضيف على اسمه هذه العبارة « الحرارة الممثلة فى إله الشمس أتون » وكان يسمى ايضا « رب الشمس اتون » وبذلك صار الملك المذكور يعبد الحرارة المعنوية التى هى ضروريه للحياة ومن ثم اضحى الاله المذكور فى عقيدتهم حياً دائماً ابداً شاعراً بما حوله بوساطة اشعته التى ينشرها فى السكائنات ولم يكن هذا الملك وقتئذ أقل منزلة من اليونان الاقدمين فى مزاعمهم وعقائدهم فى المادة والطبيعة . وأن الرمز الظاهرى لهذا الاله هو قرص فى السماء يرسل إلى الارض عدة اشعة تنتهى بايد تقبض كل واحدة منها على الحياة وكانت هذه العقيدة منتشرة فى الولايات المختلفة التابعة للدولة المصرية حتى إن الانسان اذا نظر اليها من أول وهلة عرفها

ولما لم يستطع هذا الاله الجديد أن يظل بغير معبد يعبد فيه أقام له هذا الملك معبداً فآخرأ سماه « جم أتون » بين الكرنك والا قصر فى اقليم خاص يسمى « عظمة أتون الاعظم » ومع أن الملوك كانت حرة فى عبادة الآلهة التى تصطفيها فأن كهنوت آمون قد حقد على هذا الاله الذى ظهر وتحلى بهذا الظهور المدهش ولكن كهنوت آمون كان عزيزاً قوياً ففوق انه الرائد الاكبر للنظام المتبع كان رئيس قساوسته الوزير الاول للملوك فهو الذى يدير سكان السفينة السياسية ويسوس الدولة المصرية وهؤلاء الكهنة هم الذين نصبوا تحتهمس الثالث ولو شاءوا لاقاموا مقام هذا الملك المغرور الذى تولى العرش ملكاً من قبلهم من أول الامر ولكن على الرغم من كرامة أصله وزكى منبته كان امنحتمب الرابع ذا نفوذ شخصى عظيم وكان يعززه فى مناوأتهم لآمون كهنة منفيس الشمالية وكهنة هليوبوليس الذين كانوا حاقدين على الاله طيبة القديم الذى اصبح لاحول له ولا قوة والذى لم يسمع عنه سكان الشمال شيئاً قبل ظهور الدولة الوسطى . فاعقب ذلك ثورة دينية كبيرة انتهت بالقضاء على كهنة آمون فاستشاط الملك الحديث غيظاً من سائر الكهنة ومن بينهم كهنة آمون وامر باغلاق المعابد طراً فى سائر أنحاء المملكة ومحا

اسماء الآلهة من جميع الآثا والدشى حتى أن كلمة اله لم يسمح بإسماعها أو رؤيتها البتة كما أنه أمر بفحص حيطان معابد طيبة ومحا كلمة اله منها وكان اضل من ذلك سبيلا تغيير لقب امنحتب الذى ورثه عن والده لانه يشمل كلمة آمن أو آمون بمحو هذه الكلمة منه اذ أمر بمحذوها من جميع الآثار ولم يكتف بذلك بل أنه تورط الى ما هو ادهى وامر وهو محو لقبه المسمى امنحتب ومعناه « آمون الباقي » من جميع الآثار فلم يسمح بنطقه او كتابته على أى اثر واستعاض عنه باسم « اخناتون » ومعناه « روح اتون » فاصبحت طيبة حينئذ محورا للفتن الدينية والنزعات القومية واضحت الفوضى فيها كالحسكة شاكّة من كل طرف . ولما نظر ذلك الشاب المصلح الى المدينة والناس التمايل التي اقامها اجداده لا آمون لم يرقه ذلك ففكر في ازالة هذا الاثر بهذه الحيلة التي احتالها وهي انه عمل على نشر الاله اتون في سائر ربوع المملكة الثلاثة وهي مصر والمتملكات الاسيوية والنوبة وجعل مدينة الاله المصرية قصبة ملكه ولكن هذا المشروع الخطير قد تطلب منه زمنا طويلا وعلى الرغم من العقبات التي تصدت له فقد أنشأ المدن الثلاثة وجعلها كرسى هذا الاله . هذا وان مدينة اتون النوبية قد اقيمت على جانب النيل الغربى في سفح الشلال الثالث في قلب هذه الولاية المصرية وكانت تسمى « جم اتون » نسبة الى معبد اتون في طيبة . أما في الشام فإن مدينة اتون لم تكن معروفة ولكن سعى اخناتون في نشر ديانة اتون بهذا الافليم لم يقل عن سعى سلفه في بث ديانة آمون . وفي السنة السادسة من حكم هذا الملك بعد أن غيّر لقبه اقام في مدينة اتون الاصلية بمصر واصطفى لها مركزا حصينا ومكانا حريزا في الفجوة التي بالصخر على بعد مائة وستين ميلا من دال النيل وعلى مسافة ثلثمائة ميل من طيبة وسماها « اخناتون » ومعناها « افق اتون » وتسمى في عهدنا هذا تل المهارنه وفوق ذلك فقد اضاف اليها ساحة كبرى ووقفها على هذا الاله وتلك الساحة تشمل السهل الذى على حفا في النهر وقد أنشأ بالصخور المقامة

على كلا جانبي المدينة اربعة عشر لوحا صخريا كبيرا لم يقل ارتفاع احدها عن ست وعشرين قدما وهي منحوتة في الصخر وعليها نقوش تدل على حدود ذلك الاقليم المقدس الذي يحف بهذه المدينة وقد بلغ عرض هذا الاقليم ثمانية أميال من الشمال الى الجنوب وطوله من اثني عشر الى سبعة عشر ميلا من حافة الصخر الى طرف الصخر الآخر ومع هذا الميدان المقدس كان للأله المذكور اناوات يجي له من بلاد نازحة في مصر والنوبة وسوريا .

وقد ارسل الملك البهاء الملكي (بك) الى الشلال الأول لاستحضار الاحتجار اللازمة للمعبد الجديد والمعابد الاخرى التي لاتقل عن ثلاثة اقيمت في المدينة الجديدة احدها لوالدة الملك المسماة بالملكة (تي) وثانيها للاميرة (يكساتون) خادمة أنون وثالثها وهو المعبد الملكي العظيم للملك نفسه وحولى هذه المعابد اقيمت قصور الملك وقصور الأمراء ولم ترالعين ابداع منظرا من تلك المناظر الخلابة المحدقة بهذه المدينة مثال ذلك المنظر الذي يزرع فيه الملك منصب القسيس الاعظم لأنون ويقلده تقليدا حسنا (المريرى) احد بطائنه ووليعة الادنين وترى ايضا الصورة التي يذهب فيها الملك لمعبده في مركبته الملكية الضخمة يصحبه بناته الاربعة وحاشية هائلة وتراه حينما يصل الى المعبد يتسلم بيده الخراج والاتاوات

فيتضح لنا ما ذكر أن كل عمل في المدينة الجديدة عمل لنشر ديانة أنون والعقيدة الاتونية هي من بنات افكار الملك المذكور وبمحض ارادته اذ ترى توقيعه على كل ذلك فلا عجب اذن ان نرى هذا الملك لم ين لحظة واحدة في اضعاف قوة الالهة ولم يتردد في محو اسم ابيه من الآثار حبا في اباده آمون العدو لنشر دعايته ولم يخش في ذلك بأس أى بشر بل كانت الرعية مسوقة لأمرته وطوع ارادته

ولقد فطن اخناتون الى سياسة اسلافه الفراعنة في استمالة حزبه اليه بمنحهم المنح واقطاعهم الاقطاعات واسباغ نعمائه عليهم ومن بينهم طبقة

العمال الذين نشروا دعوته مثل (مريرى) المذكور آنفا الذى اغدق عليه نعمة وفيرة . وان النعم التى كانوا يتحدثون بها فى عهده عظيمة يؤيد ذلك قول قائد جيوش الملك « ان سيدى قد رفعنى لافى انشر دعوته واستمع كلته فما اسعد من ينشر دعوتك ويبث تعاليمك عن الحياة » .

أما فى الحفلات الرسمية فقد ألغيت الاساطير الأولية القديمة التى يتخللها اسم الآلهة واستبدل بها عبارات الشكر والحمد وآيات الاحلاص التى كان يرتلها أتون النبلاء الذين يتمتعون بنعماء الملك والذين أشربوا فى قلوبهم حبه أظهرأ لشعورهم نحو الديانة الاتونية . وكذلك كانت الموالى السورية ترسل وفودها تبعاً لتمثل فى تلك الحفلات الرسمية ولتتلو الآيات المقدسة الدينية لاله الشمس أتون . ومع انه كان للملك حزب عظيم موال له قد أدرك غرض الملك فى نشر تعاليمه فأن السواد الاعظم منه قد ساقه الى ذلك ارضاء بطامنه وسدخلته .

وفى الحق ان هناك منحة ملكية عظيمة قد أسبغها الملك على الرعية الموالية له بدون استثناء وهى اقامة ذلك البقيع الصخرى الجليل الذى أمر الملك بانشائه على الصخور الشرقية لاشياعه وأحزابه وقد زين هذه المقبرة الخالدة بالتمائيل الرائعة والدمى الفاخرة التى فى زعمهم تسير فى مقدمة الحبارات وتقدم المتوفى فى ذهابه الى الدار الاخرى وهى رموز لانسنة الأجلين الذين يبددون ظلمات القبور وينمرون السراج الى الصراط المستقيم الموصل الى حنة الخلد وبذلك ذهبت ظلمات القبور الطيبة القديمة وصار القبر أثراً خالداً للبيت وان حياط هذه القبور قد زينت بالصور الجميلة والنقوش البديعة التى تدل على شكل الحياة وأحوال الناس فى عهد أختانون ولا سيما الوقائع التى حدثت لساكن القبر أيام حياته الدنيوية ومقالاته الرسمية مع الملك وبذلك تمتاز مدينة أختانون بمقبرتها الجميلة لا بآثارها الخالدة . وفى هذه المقبرة ترى النبلاء كعبين على ذكر الآيات الطيبات وترتل الاناشيد الطاهرات للملك والآله أتون وترى فى

تلك الرسوم صورة الملك والملكة تحت قرص الشمس « أنون » الذي يرسل أشعته الذهبية المنتهية بأيدي يحتضن بها الزوجين المذكورين .
وفي تلك المقار قد نهشت الاشراف القنوت الذي ألقه الملك للأله أنون وأن أعظم أثر خالد ألقه هذا الملك في تاريخ هذه الثورة الدينية هو هذا القنوت ومن هذا القنوت يمكننا أن نقف على مبلغ تضحية هذا الملك في نشر دعوته وبث تعاليمه واليك ترجمتها :

القنوت

التسبيحة الاولى

عظمة أنون

« اللهم تبارك خلعتك وحل حلالك في أفق السموات البلى أيها المقيوم أنون مبدع الحياة ومذنبى الخلق فأذا نزع نورك وأماح صبحك ملأت الكون جمالا لا يك جمال ديع وهاج نضى ما حولك من الكون وأنت في كبد السماء وتكتب أشعتك الاصماغ والبقياع وما خلقت من الكائنات انك انت رع للطيف الشفيق الذى أسرت ما حولك وجمعت شتات خلعتك بحدك وعطعتك ومع انك ناء عن الارض فان اشعتك تصل اليها ومع انك متعال فان أثرك يتجلى في بزوغ النهار »

التسبيحة الثانية

الليل

« اذا غاب نورك وذهب سنالك أصحى العالم في ظلمات كظلمات القبور لقيام الناس بالحجرات والحدود يلفون رؤوسهم ويكون أفواههم

ويخفتون أصواتهم وتغشى عيونهم فلا يبصرون ولا يشعرون سبحانه
انت الذى حفظتهم مما حولهم وما بين أيديهم فى دياجير الظلمات وغسق
الليل حينما تخرج الاسود من عرائنها وتنساب الافاعي من أجحارها ويسدل
الظلام سدوله ويسكن العالم لان مبدعه قد أفل راجعا ليستريح فى ملكوته»

التسبيحة الثالثة

النهار وبنو الانسان

«ما أجمل العالم حينما تشرق دلى الافق فتضىء بطلعتك النهار أيها الملك
القدوس أتون فتذهب وحشة الليل وتبدد ظلمة الغسق وترسل أشعتك الى
البلدين (مصر العليا والسفلى) فتضحى فى عيد سعيد ثم يستيقظ الناس من
سباتهم ويقفون من غفلاتهم رينصبون قائمين لاداء اشغالهم فسبحانك
انت الذى أيقظتهم وأنهمضتهم ثم يتوضؤون ويرتدون ثيابهم ويرفعون أكفهم
الى السماء مصليين لك ومسبحين بحمدك بالسهحر والفجر يسمعون الى اعمالهم»

التسبيحة الرابعة

النهار والحيوان والنبات

«سبحانك انت الذى أوحيت الى الافعام أن تسرح بالنهار فى مروجها
وبأن تنمو الاشجار والنباتات وتزهرا الازهار وتغرد الاطياف وتغدو وتروح
على الغدران وترفع أجنحتها متضرعة اليك وترقص الاعنام طربا بك وتطير
الطيور اسرابا فتغدو خفاضا وتروح بطانا وتلتعش عند ما يشرق نورك
وبضىء سنالك»

التسبيحة الخامسة

النهار والماء

« سبِّحْكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَ الْجَوَارِيَ الْمُنْشَأَتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
وَفَتَحْتَ الْمَسَالِكَ وَالطَّرِيقَاتِ عِنْدَ انْبِلَاجِ الصَّبَاحِ وَأَنْعَشْتَ السَّمَاءَ فِي الْآنْهَارِ
الْجَارِيَاتِ وَأَنْفَذْتَ أَشْعَمَكَ فِي لَجْجِ الْبَحَارِ الزَّاخِرَاتِ »

التسبيحة السادسة

خلق الإنسان

« سبِّحْكَ أَنْتَ إِلَهِي الْأَعْلَى خَلَقْتَ الْأَجْنََّةَ فِي بَطُونِ أَمْهَاتِهَا وَخَلَقْتَ
النُّظْفَةَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَصَوَّرْتَ الْإِنْسَانَ أَحْسَنَ تَصْوِيرٍ وَأَسْكَنْتَهُ فِي ظِلْمَاتِ
الْأَرْحَامِ فِي حَرَزِ حَرِيْزٍ فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَشْفَقُ مِنَ الْمَرْضِعِ الْحَنُونِ وَفَتَحْتَ فِيهِ
مِنْ رُوحِكَ فَتَمَثَّلَ بَشَرًا سَوِيًّا وَبَعَثْتَهُ يَوْمَ مَوْلَدِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَنُطِقَ بِفَضْلِكَ
وَنُحَدِّثُ بِنِعْمَاتِكَ »

التسبيحة السابعة

خلق الحيوان

« سبِّحْكَ أَنْتَ الَّذِي أَحْيَيْتَ الْفَرَخَ فِي بَيْضَتِهِ فَتَفَجَّخَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ
وَلَمَّا أَكَلَتْ خَلْفَهُ نَفَذَ مِنْ غُلَافِهِ وَخَرَجَ يَدْرَجُ مِنْ خَدْرِهِ فَصَاحَ وَزَقَّى وَرَاحَ
وَعُودًا مَسْبُوحًا بِآلَائِكَ وَشَاكِرًا لِنِعْمَاتِكَ »

التسبيحة الثامنة

خلق العالم

«سبحانك ما أعظم اعمالك التي لا تحصى وما تركت التي لا تستقصى أيها الفرد الاحد الذي لا يملك سواك قوتك وقدرتك . الذي سويت الارض ودحيتها طبق لإرادتك وأنت في ملكوتك لا شريك لك وخلقته ما على الارض من انسان وحيوان كبيرا كان أو صغيرا وخلقته منها ما يسعى على قدميه ومنها ما يطير بجناحيه سبحانك مالك الملك خلقته الشام والنوبة ومصر وأنزلت كل انسان منزلته فجعلت الناس درجات وأسبغت عليهم نعمتك وأغدقت عليهم بركاتك وحاسبتهم على أيامهم وأعمالهم وجعلت لهم السنة عدة يتخاطبون بها وخلقتهم اشكالا وألوانا مختلفة طبائعهم وقسمتهم فرقا وشعوبا فسبحانك الحكيم العدل المقسط بين عبادك »

التسبيحة التاسعة

ارواء الاراضى

« سبحانك انت الذى خلقت النيل فى العالم الارضى وأجريته حسب ارادتك لتحيي به عبادك سبحانك سيد الخلق ونصير الضعفاء يارب كل بيت تديره بضيائك ويا شمس النهار ويا هول الارضين والسموات أنت الذى رفعت النيل فى السماء لتنزل من السماء سحوا وبلاحيي به الارض بعد موتها فينهمر على الجبال مدراراً ويسقى البطائح والبلاد ماءً عذبا فراتا فما أبدع فسقك وأجل نظمك - يا حى يا قيوم أنت الذى خلقت النيل من السماء لتستقى منه الناس افواجا وتستقى منه الافئام زرافات ووحدانا وأرسلته الى العالم الارضى ليحيي فى مصر مساكن وبلدانا . أنت الذى ارسلت أشعته لتثبت بها حداثق وأعنا بافاذا أشرقت شمسك وأضاء نورك احييت الحيوان والانسان »

التسبيحة العاشرة

الفصول

« سبّحانك فاطر الفصول الأربع لتخلق فيها بدائع خلقك اذ جعلت فصل الشتاء للقر وفصل الصيف للقيظ سبّحانك منشاء السموات القصية لتشرق فيها ولتشاهد ما خلقت حينها كنت وحيداً فنشأت في ملكوتك وسميت نفسك أتون الحى القيوم فتبدو في السحر وتشرق في المشرق وتغيب في المغرب »

التسبيحة الحادية عشرة

الجمال الناقى من النور

« سبّحانك يا خالق الجمال من ذاتك العلية بشرق نورك على القرى والمدائن والربوع وعلى النجاد والوهاد والربى والوديان فترنو اليك كل العيون وتشرب اليك الاغناق لانك انت أتون سراج النهار مصباح الارض »

التسبيحة الثانية عشرة

الوحى المنزل للملك

« انك فى سويداء قلبي ولا يعلم بك سوى ابنك اخناتون الذى صورته ونظمته فى كنفك ووهبت له العقل الذى ازدان به فى خلقك وامددته بقوة من روحك سبّحانك انت الذى ملكت العالم فى يدك وخلقته حسب ارادتك فعندما تشرق يحيا العالم ولما تغيب يسكن ويخفت انك انت الحى الباقي بعد ذهاب ايديك بك يحيا الانسان ويرنو الى جمالك القتان حتى

تغيب عن الابصار فيقف دولا ب الاعمال حينما تغرب في الغروب واذا
اشرقت هبت الكائنات لخدمة الملك القهار ومنذ ما دحيت الارض رفعت
الانسان ليسبح بحمد ابنك الذى نشأ من بين يديك ويقدر ذلك الملك الحى
الصادق الوعد الأمين رب الوجهين (القبلى والبحرى) (نيفر خبرورع) وان
(رع بن رع) الحى القيوم رب التاجين (اخناتون) ادام الله حياة زوجته
الجليلة الصالحة حبيبته واليفته ربة الوجهين (نيفر نيفرو اتون) ادام الله حياتها
واحيا مجدها على كر الغداة ومر العشى »

وفى هذا القوت يتجلى للانسان مظهر تلك الدولة العظيمة وقنئذ كما
أن المنشد الملكى لهذه الاناشيد يتصور عند تلاوته لها عظمة مصر الممتدة
من الشلال الى اقصى بلاد الشام ولا غرو فقد ادرك اخناتون الاله مالك
الكوت أو خالق الطبيعة وابصر خيراته ونعمائه التى اسبغها على عبده
من الصعلوك الحقيق الى الغنى المثرى ومن ادنى حيوان الى ارقى الناس فتلا
ادرك الطيور وهى تغرد على غدران النيل وتمثلت له تلك الطيور وهى
ترفع اجنحتها مسبحة لخالقها كما ظفرت السماء حامدة لمبدعها وأن روح
الاله تنبعث فى الازهار فتزهو وفى الفرخ فيخرج وفى النيل فيفيض ولقد
سمى هذا الملك الاله اتون بابى الكائنات وامها ورأى نوره يتجلى فى الزنبق
(النرجس) ولقد ادرك الملك المذكور عدل الاله فى الناس على حد سواء
لا فرق بينهم فى العشرة أو الجنسية ولقد ابان للمصرى الجبار المتكبر انصاف
هذا الاله العظيم بين سائر خلقه والمساواة بين الناس كما أنه لم يفرق بين
مصر وسوريا وبلاد النوبة وأن هذه الصفات الالهية التى ذكرها (اخناتون)
هى التى صيرته عظيما وجملته أول عبقرى ولودعى فى تاريخ البشر ومع أن
(اخناتون) قد ادرك بجلاء قوة هذا الاله العظيم وفضله العظيم فإنه لم يكن
لديه فكرة روحية عن هذا الاله أو صفات امتاز بها عن الخلق عدا الصفات
التي ذكرت من قدم عن الآلهة .

ومع هذا فقد ظهر فى تعاليمه اعتقاد راسخ فى « الحق » لم يكن ظاهرا

في تعاليم غيره من قبل . وكان الملك يضيف دائماً لاسمه هذه العبارة « الصادق الوعد الأمين » ولا بد أن كان لهذه الجملة مغزى كبير إذ كان يرددها كل يوم في حياته وكانت حياة أسرته بيئة لسائر شعبه فكان ديدنه الصدق وشعاره الصراحة وكان مشغولاً بأولاده ولذلك كان يظهر للملأ مع زوجته الملكة وأمه في سائر الحفلات كأنه أقل خادم لمعبد أتون وقد رسم نفسه على الدمي والآثار وهو يمثل أدوار حياته مع أسرته وحينما كان يقرب القرايين في المعبد شاركته في ذلك الملكة وبناتها وكان كل ما يعتقد أمراً طبيعياً حقاً وصدقاً ولم ييأس قط من تمثيل هذه المناسك الدينية والشعائر القومية غير أنه كان يمجج التقاليد المتوارثة ويشنؤهما إيماناً شديداً

وان هذا المبدأ لا بد أن يكون قد أثر تأثيراً شديداً في الصناعات التي كلف الملك بها في ذلك الوقت فان « بك » أقدم بناءً في عهده قد أضاف الى اسمه هذه العبارة « الذي علمه سيده علم ما لم يعلم » وبذلك كان الصناعات في عصره يمثلون بمعاولهم وفراجينهم (فرشهم) كل ما بدا لهم وكانت نتيجة ذلك تمثيل الحقيقة البحتة تمثيلاً لم تمثلها صناعة أخرى من قبل ، فمثلاً كان الصناعات يمثلون في رسومهم كلاب الصيد ومطاردة الوحوش والفنص في الفلاة وصيد العجل البري في الغدران كل ذلك حياً في تمثيل الحقيقة والطبيعة التي ألفها أختاتون وكذلك كان تمثيل الملك نفسه غير مستثنى من هذه الصناعة وبذلك حملت آثار مصر في ذاك العهد ما لم تحمله من قبل من النقوش التي تمثل أعمال هذا الملك الماضي العزيم القوي الشكيمة الذي لم يذعن لحكم التقاليد القديمة بل نشأ هذا الملك ذو البطش الشديد غير معتمد على أحد غير قوة يقينيه وشدة إيمانه وان تصوير الجسم البشري في ذاك العهد كان أمراً سهلاً جداً حتى ان الانسان اذا نظر إلى تلك الرسوم من أول وهلة ظن أن عصر المصريين القدماء في إقامة تماثيلهم كمصر الاغريق أو أرقى

وقد عثر الباحثون حديثاً على قطع هشة من هذه التماثيل تدل على انه كان يوجد في قصر الملك باختاتون عدة تماثيل حجرية تمثل الملك وهو في

مركبته الملكية وهي تجرى في إثر غضنفر كليم قد طعنه بسمهرى طعنة
نجلاء . ولقد كان هذا العصر أى عصر اخناتون فاتحة عصر جديد في
تاريخ الصناعة . هذا وإن تمثيل الملك وهو مشوه الارجل والايدي وعلى
جسمه سمات المرض لأحجية حارت في فكها الالباب ولقدمات هذا الملك
بعد أن خلف ديانة جديدة وبدعا مستحدثة وبموته اختفى عظيم من عظماء
التاريخ ومصلح كبير عده المؤرخون في عداد الانبياء والمرسلين إذ كان
أول من عبد الله بلا تردد في الدين أو ريب في اليقين
ولتمكن هذه الآثار تبصرة لا ولى الابصار ، وعبرة لذوى الالباب ،
وجنة لنا من الشطط والزلل ودرسا تقينا ضير الخطأ والخطل حتى نحيا حياة
طيبة ونعيش عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية

وسر العبقريه حيث يسرى فتنتظم الصنائع والفنوننا
وآثار الرجال اذا تناهت الى التاريخ خير الحاكينا



كتاب مسائل الأئمة الثامنة عشرة

أحميس = الملكة أحميس نيفرتارى

سنسنب = امخب الأول = الملكة احتب

مونتفريت = تخمس لاول = الملكة أحميس

آست = تخمس لثانى = الملكة حتشيسوت

تخمس لثالث = الملكة مريتريا

امخب الثانى = الملكة ناآ

تخمس الرابع = الملكة موتوموا تواء ابوا

جيلوخيا = امخب لثالث = الملكة قى

حرمحب = الملكة مونتفريت = الملكة نيفرتارى = امخب الرابع = تادوخيا (بنت طهراتا)

(اخنا تون)

توت عنخ آمون = الملكة انخ سنپان = الملكة مريتبان = سمخارا

(انخ سنمان)

الفهرس

باب	صفحة
صورة الملك توت - عنخ - آمون	٢
» » »	٣
فاتحة الكتاب	٤
المقدمة	٦
فذلك في التاريخ القديم	٨
وصف الحدث	١٢
تاريخ توت - عنخ - آمون	١٧
ملوك وملكات الاسرة الثامنة عشرة	٢٩
مرة هذا الكشف	٣٠
الشاهد المستكشف بالكرنك	٣٢
الخلود والازلية	٣٤
العقائد الدينية القديمة	٣٧
بلوج فيجر المدينة	٣٨
المعث والنشور	٣٩
التحنيط والقبور	٤١
الملك واوزوريس	٤٥
قصة الطوفان	٤٦
السكن الدفين والقبور المكفون	٥٠
دار القضاء	٥٢
العروج في السماء والرحيل الى الجنة	٥٤
وادي الملوك	٦٦
خريطة مقابر الملوك	٦٨
الثورة الدينية في عهد اخناتون	٧١
القنوت	٧٩
جدول سلالة الاسرة الثامنة عشرة	٨٧

— ٨٩ —

استدراك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
٤٤	٤٤	١	٨
المشرق	الشرق	٢٠	١١
نساء	نساء	٢	١٣
الرباط	الرباط	٧	١٥
الأحفان	الأحفان	١٨	١٥
متأصله	مستأصله	٢٢	٣٨
يستنفذون	يستنفذون	١	٤٢
هذه الحبة	هذه الحبة	٥	٤٦
جنس	جنس	٣	٤٧
يطأ	يضأ	١٢	٦٢
ولقد ترى	لقد ترى	١٤	٦٣
وتعشى	وتعشى	١	٨٠

— ٩٠ —

كتب وتراجم للمؤلف

- ١ — الجغرافيا العمومية للحدارس الثانوية والعليا — ترجمة المؤلف باشنة
مع حضرة الاستاذ محمود بك كامل المفتش بوزارة المعارف
- ٢ — العجالة الوجيزة في اهرام الجيزة
- ٣ — آثار المعاره في أجدات سقاره
- ٤ — الدر المسكنون في جدث الملك توت - عنخ - آمون
تحت الطبع
- ٥ — الخريدة العجيبة في آثار طيبة
- ٦ — الدروس الأولية في الجغرافيا الطبيعية
- ٧ — صفوة تاريخ العالم

ثمانية ا
ثلاثة

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٩ م

